A0128

هذه الرسائل تاليف العلامة
الامام حجة الاسلام أبي حامد
محمد بن محمد الغزالي
قدس الله
سره

الاولى رسالة الجام العوام عن علم الكلام
والثانية
كتاب المنقذ من الضلال
والثالثة
كتاب المضنون به على غير أهله
والرابعة
كتاب ترتيب الاوراد للامام الغزالي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجلى لكافة عباده بصفاته واسمائه وتاهت عقول الطالبين
في بيداء كبريائه وقصرت اجنحة الافكار دون حمى عزته وتعالى بجلاله عن
ان تدرك الافهام كنه حقيقته واستوفى قلوب اوليائه وخاصته واستغرق
ارواحهم حتى احترقوا بنار محبته وبهتوا في اشراق انوار عظمته وخرست
السنتهم عن الثناء على جمال الحضرة الا بما اسمعهم من اسمائه وصفاته و
انباهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خير خليقته وعلى اصحابه
وعترته اما بعـــد فقد سالتني ارشدك الله عن الاخبار الموهمة للتشبيه
عند الرعاع والجهال من الحشوية الضلال حيث اعتقدوا في الله و
صفاته ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة واليد والقدم والنزول و
الانتقال والجلوس على العرش والاستقرار وما يجري مجراه مما اخذوه
من ظواهر الاخبار وصورها وانهم زعموا ان معتقدهم فيه معتقـــد
السلف واردت ان اشرح لك اعتقاد السلف وان ابين ما يجب على
عموم الخلق ان يعتقدوه في هذه الاخبار واكشف فيه الغطاء عن الحق و
اميز ما يجب البحث عنه عما يجب الامساك والكف عن الخوض فيه

الى طلبتك متقربا الى الله سبحانه وتعالى باظهار الحق الصريح من غير مداهنة ومراقبة جانب ومحافظة على تعصب لمذهب ذى مذهب فالحق اولى بالمراقبة والصدق والانصاف اولى بالمحافظة عليه واسأل الله التسديد والتوفيق وهو باجابة داعيه حقيق وهانا ارتب الكتاب على ثلاثة ابواب باب فى بيان حقيقة مذهب السلف فى هذه الاخبار وباب فى البرهان على ان الحق فيه مذهب السلف وان من خالفهم فهو مبتدع وباب فى فصول متفرقة نافعة فى هذا الفن

الباب الاول فى شرح اعتقاد السلف فى هذه الاخبار **اعلم** ان الحق الصريح الذى لا مراء فيه عند اهل البصائر هو مذهب السلف اعنى مذهب الصحابة والتابعين وها انا اورد بيانه وبيان برهانه **فاقول** حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة امور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الامساك ثم الكف ثم التسليم لاهل المعرفة اما التقديس فاعنى به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها واما التصديق فهو الايمان بما قاله صلى الله عليه وسلم وان ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذى قاله واراده واما الاعتراف بالعجز فهو ان يقر بان معرفة مراده ليست على قدر طاقته وان ذلك ليس من شأنه وحرفته واما السكوت فان لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم ان سؤاله عنه بدعة وانه فى خوضه فيه مخاطر بدينه وانه يوشك ان يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر واما الامساك فان لا يتصرف فى تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيه والنقصان والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك او بعض من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة

وأمّا الكف فان يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه وأمّا التسليم
لاهله فان لا يعتقد ان ذلك ان خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم او على الانبياء او على الصديقين والاولياء فهذه
سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام لا ينبغي ان لا
يظن بالسلف الخلاف في شيء منها فلنشرحها وظيفة وظيفة ان شاء
الله تعالى الوظيفة الاولى التقديس ومعناه انه اذا سمع اليد والاصبع و
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خمر طينة آدم بيده وان قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن فينبغي ان يعلم ان اليد تطلق لمعنيين احدهما
هو الوضع الاصلي وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب واللحم و
العظم والعصب جسم مخصوص وصفات مخصوصة اعني بالجسم عبارة
عن مقدار له طول وعرض وعمق يمتنع غيره من ان يوجد بحيث هو
الا بان يتنحى عن ذلك المكان وقد يستعار هذه اللفظة اعني اليد لمعنى
آخر ليس ذلك المعنى بجسم اصلا كما يقال البلدة في يد الامير فان ذلك
مفهوم وان كان الامير مقطوع اليد مثلا فعلى العامي وغير العامي ان
يتحقق قطعا ويقينا ان الرسول عليه السلام لم يرد بذلك جسما هو عضو
مركب من لحم ودم وعظم وان ذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس
فان خطر بباله ان الله جسم مركب من اعضاء فهو عابد صنم فان كل جسم
فهو مخلوق وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كانت كفرا لانه مخلوق وكان
مخلوقا لانه جسم فمن عبد جسما فهو كافر باجماع الائمة السلف منهم
والخلف سواء كان ذلك الجسم كثيفا كالجبال الصم الصلاب او لطيفا كا
لهواء والماء وسواء كان مظلما كالارض او مشرقا كالشمس والقمر
والكواكب او مشفا لا لون له كالهواء او عظيما كالعرش والكرسي والسماء

او صغيرا كالذرة والهباء او جمادا كالحجارة او حيوانا كالانسان فالجسم
صنم فبان يقدر حسنه وجماله او عظمه او صغره او صلابته وبقاؤه لا
يخرج عن كونه صنما ومن نفى الجسمية عنه وعن يده واصبعه فقد نفى
العضوية واللحم والعصب وقدس الرب جل جلاله عما يوجب الحدوث
فليعتقد بعده انه عبارة عن معنى من المعانى ليس بجسم ولا عرض فى
جسم يليق ذلك المعنى بالله تعالى فان كان لا يدرى ذلك المعنى ولا
يفهم كنه حقيقته فليس عليه فى ذلك تكليف اصلا فمعرفة تاويله ومعناه
ليس بواجب عليه بل واجب عليه ان لا يخوض فيه كما سياتى مثال اخر اذا
سمع الصورة فى قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته (وانى رأيت
ربى فى احسن صورة) فينبغى ان يعلم ان الصورة اسم مشترك قد
يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة فى اجسام مؤلفة مولدة مرتبة ترتيبا مخصوصا
مثل الانف والعين والفم والخد التى هى اجسام وهى لحوم وعظام وقد
يطلق ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة فى جسم ولا هو ترتيب فى اجسام كقولك
عرف صورته وما يجرى مجراه فليتحقق كل مؤمن ان الصورة فى حق الله
لم تطلق لارادة المعنى الاول الذى هو جسم لحمى وعظمى مركب من انف
وفم وخد فان جميع ذلك اجسام وهيئات فى اجسام وخالق الاجسام
والهيئات كلها منزه عن مشابهتها وصفاتها واذا علم هذا يقينا فهو
مؤمن فان خطر له انه ان لم يرد هذا المعنى الذى اراده فينبغى ان يعلم
ان ذلك لم يؤمر به بل امر بان لا يخوض فيه فانه ليس على قدر طاقته لكن
ينبغى ان يعتقد انه اريد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا
عرض فى جسم مثال اخر اذا قرع سمعه النزول فى قوله صلى الله عليه وسلم
ينزل الله تعالى فى كل ليلة الى السماء الدنيا فالواجب عليه ان يعلم ان النزول

اسم مشترك قد يطلق اطلاقا يفتقر فيه الى ثلاثة اجسام جسم عال هو مكان
لساكنه وجسم سافل كذلك وجسم منتقل من السافل الى العالي ومن العالي
الى السافل فان كان من اسفل الى علو سمي صعودا وعروجا ورقيا وان كان
من علو الى اسفل سمي نزولا وهبوطا وقد يطلق على معنى اخر ولا يفتقر
فيه الى تقدير انتقال وحركة في جسم كما قال الله تعالى وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج وما رئي البعير والبقر نازلا من السماء بالانتقال بل هي مخلوقة
في الارحام ولانزالها معنى لا محالة كما قال الشافعي رضي الله عنه دخلت
مصر فلم يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت فلم يرد به انتقال جسده
الى اسفل فتحقق المؤمن قطعا ان النزول في حق الله تعالى ليس بالمعنى الاول
وهو انتقال شخص وجسد من علو الى سفل فان الشخص والجسد اجسام
والرب جل جلاله ليس بجسم فان خطر له انه ان لم يرد هذا فما الذي اراد
فيقال له انت اذا عجزت عن فهم نزول البعير من السماء فانت عن فهم
نزول الله تعالى اعجز فليس هذا بعشك فادرجي واشتغل بعبادتك او
حرفتك واسكت واعلم انه اريد به معنى من المعاني التي يجوز ان يراد
بالنزول في لغة العرب ويليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته وان
كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته مثال اخر اذا سمع لفظ الفوق في قوله تعالى
وهو القاهر فوق عباده وفي قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم فليعلم
ان الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين احدهما نسبة جسم الى جسم بان
يكون احدهما اعلى والاخر اسفل يعني ان الاعلى من جانب راس الاسفل
وقد يطلق لفوقية الرتبة وبهذا المعنى يقال الخليفة فوق السلطان و
السلطان فوق الوزير وكما يقال العلم فوق العمل والاول يستدعي جسما
ينسب الى جسم والثاني لا يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعا ان الاول

يجب

غير مراد وانه الله تعالى محال فانه من لوازم الاجسام او لوازم اعراض
الاجسام واذا عرف نفي هذا المحال فلا عليه ان لم يعرف انه لماذا اطلق
وماذا اريد فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره الوظيفة الثانية الايمان و
التصديق وهو ان يعلم قطعا ان هذه الالفاظ اريد بها معنى يليق
بجلال الله وعظمته وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق في وصف
الله تعالى به فليؤمن بذلك وليوقن بان ما قاله صدق وما اخبر عنه
حق لا ريب فيه وليقل آمنا وصدقنا وان ما وصف الله تعالى به نفسه
أو وصفه به رسوله فهو كما وصفه وحق بالمعنى الذي أراده وعلى الوجه الذي
قاله وان كنت لا تقف على حقيقته فان قلت التصديق انما يكون بعد
التصور والايمان انما يكون بعد التفهم فهذه الالفاظ اذا لم يفهم
العبد معانيها كيف يعتقد صدق قائلها فيها فجوابك ان التصديق بالامور
الجملية ليس بمحال وكل عاقل يعلم انه اريد بهذه الالفاظ معان وان كل
اسم فله مسمى اذا نطق به من اراد مخاطبة قوم قصد ذلك المسمى فيمكنه
ان يعتقد كونه صادقا مخبرا عنه على ما هو عليه فهذا معقول على سبيل
الاجمال بل يمكن ان يفهم من هذه الالفاظ امور جملية غير مفصلة ويمكن
التصديق كما اذا قال في البيت حيوان أمكن ان يصدق دون ان
يعرف انه انسان او فرس او غيره بل لو قال فيه شيء امكن تصديقه
وان لم يعرف ما ذلك الشيء فكذلك من سمع الاستواء على العرش فهم
على الجملة انه اريد بذلك نسبة خاصة الى العرش فيمكنه التصديق قبل
ان يعرف ان تلك النسبة هي نسبة الاستقرار عليه او الاقبال على خلقه
أو الاستيلاء عليه بالقهر أو معنى آخر من معاني النسبة فامكن التصديق
به وان قلت فاي فائدة في مخاطبة الخلق بما لا يفهمون فجوابك انه قصد

بهذا الخطاب تفهيم من عدوا اهله وهم الاولياء والراسخون في العلم وقد
فهموا وليس من شرط من خاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم بما يفهمه
الصبيان والعوام بالاضافة الى العارفين كالصبيان بالاضافة الى البالغين و
لكن على الصبيان ان يسألوا البالغين عما يفهمونه وعلى البالغين ان يجيبوا
الصبيان بان هذا ليس من شأنكم ولستم من اهله فخوضوا في حديث غيره
فقد قيل للجاهل فاسألوا اهل الذكر فان كانوا يطيقون فهمه فهموهم والا
قالوا لهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم ما لكم ولهذا السؤال هذه معان الايمان بها واجب والكيفية مجهولة
اي مجهولة لكم والسؤال عنه بدعة كما قال مالك الاستواء معلوم والكيفية
مجهولة والايمان به واجب فاذن الايمان بالجمليات التي ليست مفصلة في الذهن
ممكن ولكن تقديسه الذي هو نفي المحال عنه ينبغي ان يكون مفصلا فان
المنفي هو الجسمية ولوازمها ونعني بالجسم ههنا الشخص المقدر الطويل العريض
العميق الذي يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الذي يدفع ما يطلب مكانه
ان كان قويا ويندفع ويتنحى عن مكانه بقوة دافعه ان كان ضعيفا وانما
شرحنا هذا اللفظ مع ظهوره لان العامي ربما لا يفهم المراد به الوظيفة
الثالثة الاعتراف بالعجز ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني
وحقيقتها ولم يعرف تأويلها والمعنى المراد به ان يقر بالعجز فان التصديق
واجب وهو عن دركه عاجز فان ادعى المعرفة فقد كذب وهذا معنى
قول مالك الكيفية مجهولة يعني تفصيل المراد به غير معلوم بل الراسخون
في العلم والعارفون من الاولياء ان جاوزوا في المعرفة حدود العوام و
جالوا في ميدان المعرفة وقطعوا من بواديها اميالا كثيرة فما بقي لهم مما
لم يبلغوه وهو بين ايديهم اكثر بل لا نسبة لما طوي عنهم الى ما كشف

نعم لكثرة المطوي وقلة المكشوف بالاضافة اليه والاضافة الى المطوي المستور
قال سيد الانبياء صلوات الله عليه لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى
نَفْسِكَ وبالاضافة الى المكشوف قال صلوات الله عليه اعرفكم بالله اخوفكم
لله وانا اعرفكم بالله ولاجل كون العجز والقصور ضروريا في اخر الامر
بالاضافة الى منتهى الحال قال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك
فأوائل حقائق هذه المعاني بالاضافة الى عوام الخلق كاواخرها بالاضافة الى
خواص الخلق فكيف لا يجب عليهم الاعتراف بالعجز الوظيفة الرابعة
السكوت عن السؤال وذلك واجب على العوام لانه بالسؤال متعرض لما
لا يطيقه وخائض فيما ليس اهلا له فان سال جاهلا زاده جوابه جهلا وربما
ورطه في الكفر من حيث لا يشعر وان سال عارفا عجز العارف عن تفهيمه بل
عجز عن تفهيم ولده مصلحته في خروجه الى المكتب بل عجز الصانع عن تفهيم
النجار دقائق صناعته فان النجار وان كان بصيرا بصناعته فهو عاجز عن
دقائق الصياغة لانه انما يعلم دقائق النجر لاستغراقه العمر في تعلمه وممارسته
فكذلك يفهم الصائغ الصياغة ايضا لصرف العمر الى تعلمه وممارسته وقبل
ذلك لا يفهمه فالمشغولون بالدنيا وبالعلوم التي ليست من قبيل معرفة
الله عاجزون عن معرفة الامور الالهية عجز كافة المعرضين عن الصناعات
عن فهمها بل عجز الصبي الرضيع عن الاغتذاء بالخبز واللحم لقصور في فطرته
لا لعدم الخبز واللحم ولا لانه قاصر على تغذية الاقوياء لكن طبع الضعفاء
قاصر عن التغذي به فمن اطعم الصبي الضعيف اللحم والخبز او امكنه
من تناوله فقد اهلكه وكذلك العامي اذا طلب بالسؤال هذه المعاني
يجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالدرة كما كان يفعله عمر رضي الله عنه بكل من
سال عن الايات المتشابهات وكما فعله صلى الله عليه وسلم في الانكار على قوم

انهم خاضوا في مسئلة القدر وسألوا عنه فقال عليه السلام افبهذا امرتم
وقال انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال او لفظ هذا معناه كما اشتهر في
الخبر ولهذا اقول يحرم على الوعاظ على رؤس المنابر الجواب عن هذه الاسئلة
بالخوض في التأويل والتفصيل بل الواجب عليهم الاقتصار على ما ذكرناه وذكره
السلف وهو المبالغة في التقديس ونفي التشبيه وانه تعالى منزه عن الجسمية
وعوارضها وله المبالغة في هذا بما اراد حتى يقول كل ما خطر ببالكم وهجس
في ضميركم وتصور في خاطركم فالله تعالى خالقها وهو منزه عنها وعن مشابهتها
وان ليس المراد بالاخبار شئ من ذلك واما حقيقة المراد فلستم من اهل
معرفتها والسؤال عنها فاشتغلوا بالتقوى فما امركم الله تعالى به فافعلوه وما
نهاكم عنه فاجتنبوه وهذا قد نهيتم عنه فلا تسألوا عنه ومهما سمعتم شيئا من
ذلك فاسكتوا وقولوا آمنا وصدقنا وما اوتينا من العلم الا قليلا وليس هذا
من جملة ما اوتينا الوظيفة الخامسة الامساك عن التصرف في الفاظ وا
ردة ويجب على عموم الخلق الجمود على الفاظ هذه الاخبار والامساك عن
التصرف فيها من ستة اوجه التفسير والتأويل والتصريف والتفريع
والجمع والتفريق (الاول) التفسير واعني به تبديل اللفظ بلغة اخرى
يقوم مقامها في العربية او معناها بالفارسية او التركية بل لا يجوز النطق الا
باللفظ الوارد لان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها
ومنها ما يوجد لها فارسية تطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها
للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها لها ومنها ما يكون مشتركا
في العربية ولا يكون في العجمية كذلك اما الاول فمثاله لفظ الاستواء فانه
ليس له في الفارسية لفظ مطابق يؤدي بين الفرس من المعنى الذي
يؤديه لفظ الاستواء بين العرب بحيث لا يشتمل على مزيد ابهام فان فارسيته
ان يقال راست باستاد وهذان لفظان الاول ينبئ عن انتصاب و

استقامة فيما يتصور ان ينحني ويعوج والثاني ينبئ عن سكون وثبات
فيما يتصور ان يتحرك ويضطرب واشعاره بهذه المعاني واشارته اليها في العجمية
اظهر من اشعار لفظ الاستواء واشارته اليها فاذا تفاوتا في الدلالة والا
شعار لم يكن هذا مثل الاول وانما يجوز تبديل اللفظ بمثله المرادف له
الذي لا يخالفه بوجه من الوجوه الا بما لا يباينه ولا يخالفه ولو بادنى شيء
وادقه واخفاه مثال الثاني ان الاصبع يستعار في لسان العرب للنعمة يقال
لفلان عندي اصبع اي نعمة ومعناها بالفارسية انكشت وما جرت عادة
العجم بهذه الاستعارة وتوسع العرب في التجوز والاستعارة اكثر من توسع
العجم بل لا نسبة لتوسع العرب الى جمود العجم فاذا حسن ارادة المعنى المستعار
له في العربي وسمج ذلك في العجمي نفر القلب عما سمج ومجه السمع ولم يمل اليه
فاذا تفاوتا لم يكن التفسير تبديلا بالمثل بل بالخلاف ولا يجوز التبديل
الا بالمثل مثال الثالث العين فمن فسره فانما يفسره باظهر معانيه
فيقول هو چشم وهو مشترك في لغة العرب بين العضو الباصر وبين الماء
والذهب والفضة وليس للفظ چشم هذا الاشتراك وكذلك
لفظ الجنب والوجه يقرب منه فلاجل هذا نرى المنع من التبديل الا
على العربية فان قيل هذا التفاوت ان ادعيتموه في جميع الالفاظ فهو غير
صحيح اذ لا فرق بين قولك خبز ونان وبين قولك لحم وگوشت وان
اعترف بان ذلك في البعض فامنع من التبديل عند التفاوت لا عند
التماثل فالجواب ان الحق ان التفاوت في البعض لا في الكل فلعل لفظ
اليد ولفظ دست يتساويان في اللغتين في الاشتراك والاستعارة و
سائر الامور ولكن اذا انقسم الى ما يجوز والى ما لا يجوز وليس ادراك
التمييز بينهما والوقوف على دقائق التفاوت جليا سهلا يسيرا على كافة الخلق

بل يكثر فيه الاشكال ولا يتميز محل التفاوت عن محل التعادل فنحن بين ان نحسم
الباب احتياطا اذ لا حاجة ولا ضرورة الى التبديل وبين ان نفتح الباب و
نقحم عموم الخلق ورطة الخطر فليت شعري اي الامرين احزم واحوط والمنظور
فيه ذات الاله وصفاته وما عندي ان عاقلا متدينا لا يقر بان هذا الامر
خطر فان الخطر في الصفات الالهية يجب اجتنابه بكيف وقد اوجب الشرع
على الموطوءة العدة لبراءة الرحم وللحذر من خلط الانساب احتياطا لحكم
الولاية والوراثة وما يترتب على النسب ثم انا مع ذلك تجب العدة على العقيم
والايسة والصغيرة وعند العزل لان باطن الارحام انما يطلع عليه علام الغيوب
فانه يعلم ما في الارحام فلو فتحنا باب النظر الى التفصيل كان ركوب متن الخطر
في ايجاب العدة حيث لا علوق اهون من ركوب هذا الخطر فكما ان ايجاب
العدة حكم شرعي فتحريم تبديل العربية حكم شرعي ثبت بالاجتهاد وترجيح
طريق الاولى ويعلم ان الاحتياط في الخبر عن الله وعن صفاته وعما اراده بأ
لفاظ القرآن اهم واولى من الاحتياط في العدة ومن كل ما احتاط به الفقهاء
من هذا القبيل اما التصريف الثاني التأويل وهو بيان معناه بعد ازالة
ظاهره وهذا اما ان يقع من العامي نفسه او من العارف مع العامي او من
العارف مع نفسه بينه وبين ربه فهذه ثلثة مواضع الاول تأويل العامي
على سبيل الاشتغال بنفسه وهو حرام يشبه خوض البحر المغرق ممن لا يحسن
السباحة ولا شك في تحريم ذلك وبحر معرفة الله ابعد غورا واكثر معاطبا
ومهالك من بحر الماء لان هلاك هذا البحر لا حياة بعده وهلاك بحر
الدنيا لا يزيل الا الحياة الفانية وذلك يزيل الحياة الابدية فشتان بين
الخطرين الموضع الثاني ان يكون ذلك من العالم مع العامي وهو ايضا
ممنوع ومثاله ان يجر السباح الغواص في البحر مع نفسه عاجزا عن السباحة

مضطرب القلب والبدن وذلك حرام لانه عرضه لخطر الهلاك فانه لا يقوى
على حفظه في لجة البحر وان قدر على حفظه في القرب من الساحل ولو امره
بالوقوف بقرب الساحل لا يطيعه وان امره بالسكون عند التطام الامواج
واقبال التماسيح وقد فغرت فاها للالتقام اضطرب قلبه وبدنه ولم يكن
على حسب مراده لقصور طاقته وهذا هو المثال الحق للعالم اذا فتح للعامي
باب التاويلات والتصرف في خلاف الظواهر في معنى العوام الاديب و
النحوي والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين
لتعلم السباحة في بحار المعرفة القاصرين اعمارهم عليه الصارفين وجوههم
عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات
المخلصين لله تعالى في العلوم والاعمال العاملين بجميع حدود الشريعة و
ادابها في القيام بالطاعات وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير
الله تعالى بالله المستحقرين للدنيا بل الاخرة والفردوس الاعلى في جنب محبة
الله تعالى فهؤلاء هم أهل الغوص في بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر
عظيم يهلك من العشرة تسعة الى ان يسعد واحد بالدر المكنون والسر
المخزون اولئك الذين سبقت لهم من الله الحسنى فهم الفائزون و
ربك اعلم بما تكن صدورهم وما يعلنون الموضع الثالث تاويل العارف مع
نفسه في سر قلبه بينه وبين ربه وهو على ثلاثة أوجه فان الذي انقدح في سره
ان المراد به من لفظ الاستواء والفوق مثلا اما أن يكون مقطوعا به او مشكوكا
فيه او مظنونا ظنا غالبا فان كان قطعيا فليعتقد وان كان مشكوكا فليجتنبه
ولا يحكمن على مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم من كلامه
باحتمال يعارضه مثله من غير ترجيح بل الواجب على الشاك التوقف وان
كان مظنونا فاعلم ان للظن متعلقين أحدهما أن المعنى الذي انقدح عنده

هل هو جائز في حق الله تعالى أم هو محال والثاني أن يعلم قطعا جوازه لكن تردد
في أنه هل هو مراد أم لا مثال الأول تاويل لفظ الفوق بالعلو المعنوي الذي
هو المراد بقولنا السلطان فوق الوزير فانا لا نشك في ثبوت معناه لله تعالى
لكنا ربما نتردد في ان لفظ الفوق في قوله يخافون ربهم من فوقهم هل أريد
به العلو المعنوي ام اريد به معنى آخر يليق بجلال الله تعالى دون العلو بالمكان
الذي هو محال على ما ليس بجسم ولا هو صفة في جسم ومثال الثاني تاويل
لفظ الاستواء على العرش بانه المراد به النسبة الخاصة التي للعرش ونسبته ان
الله تعالى يتصرف في جميع العالم ويدبر الامر من السماء الى الارض بواسطة
العرش فانه لا يحدث في العالم صورة ما لم يحدث في العرش كما لا يحدث النقاش
والكاتب صورة وكلمة على البياض ما لم يحدث في الدماغ بل لا يحدث البناء
صورة الابنية ما لم يحدث صورتها في الدماغ فبواسطة الدماغ يدبر القلب
امر عالمه الذي هو بدنه فربما نتردد في ان اثبات هذه النسبة للعرش الى الله تعالى
هل هو جائز اما لوجوبه في نفسه أو لانه أجرى به سنته وعادته وان لم يكن خلافه
محالا الا كما اجرى عادته في حق قلب الانسان بان لا يمكنه التدبير الا بواسطة
الدماغ وان كان في قدرة الله تعالى تمكينه منه دون الدماغ لو سبقت
ارادته الازلية وحقت به الكلمة القديمة التي هي علمه فصار خلافه ممتنعا
لا لقصور في ذات القدرة لكن لاستحالة ما يخالف الارادة القديمة والعلم
السابق الازلي ولذلك قال ولن تجد لسنة الله تبديلا وانما لا تتبدل لو
جوبها وانما وجوبها لصدورها عن ارادة ازلية واجبة ونتيجة الواجب واجبة
ونقيضها محال وان لم يكن محالا في ذاته ولكن محال لغيره وهو افضاؤه الى
ان ينقلب العلم الازلي جهلا ويمتنع نفوذ المشيئة الازلية فاذا اثبات هذه
النسبة لله تعالى مع العرش في تدبير المملكة بواسطته ان كان جائزا عقلا

فهل واقع وجود امثالهما قد يتردد فيه الناظر وربما يظن وجود هذا مثال
الظن في نفس المعنى والأول مثال الظن في كون المعنى مرادا باللفظ مع كون
المعنى في نفسه صحيحا جائزا وبينهما فرقان لكن كل واحد من الظنين اعني انقداح
في النفس وحاك في الصدر فلا يدخل تحت الاختيار دفعه عن النفس ولا
يمكنه ان لا يظن فان للظن اسبابا ضرورية لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا
الا وسعها لكن عليه وظيفتان احديهما ان لا يدع نفسه تطمئن اليه جزما من غير
شعور بامكان الغلط فيه ولا ينبغي ان يحكم مع نفسه بموجب ظنه حكما جازما
والثانية انه ان ذكره لم يطلق القول بان المراد بالاستواء كذا او المراد بالفوق كذا
لانه حكم بما لا يعلم وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم لكن يقول
انا اظن انه كذا فيكون صادقا في خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون حكما
على صفة الله ولا على مراده بكلامه بل حكما على نفسه ونبأ عن ضميره فان قيل ف
هل يجوز ذكر هذا الظن مع كافة الخلق والتحدث به كما اشتمل عليه ضميره وكذلك
لو كان قاطعا فهل له ان يتحدث به قلنا تحدثه به انما يكون على اربعة اوجه فاما
ان يكون مع نفسه او مع من هو مثله في الاستبصار او مع من هو مستعد للاستبصار
بذكائه وفطنته وتجرده لطلب معرفة الله تعالى او مع العامي فان كان قاطعا
فله ان يحدث نفسه به ويحدث من هو مثله في الاستبصار او من هو متجرد للطلب
المعرفة مستعد له خال عن الميل الى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب
وطلب المباهاة بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام فمن اتصف بهذه
الصفات فلا بأس بالتحدث معه لان الفطن المتعطش الى المعرفة للمعرفة
لا لغرض آخر يحيك في صدره اشكال الظواهر وربما يلقيه في تأويلات
فاسدة لشدة شرهه على الفرار عن مقتضى الظواهر ومنع العلم اهله ظلم كبثه
الى غير اهله واما العامي فلا ينبغي ان يحدث به وفي معنى العامي كل من لا

يتصف بالصفات المذكورة بل مثاله ما ذكرناه من المعاملة الرضيع الاطعمة القوية
التي لا يطيقها واما الظنون فحديثه مع نفسه اضطرار فان ما ينطوي عليه الذهن
من ظن وشك وقطع لا تزال النفس تتحدث به ولا قدرة على الخلاص منه فلا منع
منه فلا شك في منع التحدث به مع العوام بل هو اولى بالمنع من المقطوعات اما
تحدثه مع من هو في مثل درجته في المعرفة او مع المستعد له ففيه نظر فيحتمل ان
يقال هو جائز ولا يزيد على ان يقول اظن كذا وهو صادق ويحتمل المنع لانه
قادر على تركه وهو بذكره متصرف بالظن في صفة الله تعالى او في مراده من كلامه
وفيه خطر واباحته تعرف بنص او اجماع او قياس على منصوص ولم يرد شيء من
ذلك بل ورد قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فان قيل يدل على الجواز ثلاثة
امور الاول الدليل الذي دل على اباحة الصدق وهو صادق فانه ليس يخبر الا
عن ظنه وهو ظان الثاني اقاويل المفسرين في القرآن بالحدس والظن اذ كل
ما قالوه غير مسموع من الرسول عليه السلام بل هو مستنبط بالاجتهاد ولذلك
كثرت الاقاويل وتعارضت والثالث اجماع التابعين على نقل الاخبار المتشابهة
التي نقلها آحاد الصحابة ولم تتواتر وما اشتمل عليه الصحيح الذي نقله العدل
عن العدل فانهم جوزوا روايته ولا يحصل بقول العدل الا الظن والجواب
عن الاول ان المباح صدق لا يخشى منه ضرر وبث هذه الظنون لا يخلو
عن ضرر فقد يسمعه من يسكن اليه ويعتقده جزما فيحكم في صفات الله
بغير علم وهو خطر والنفوس نافرة عن اشكال الظواهر فاذا وجد مستروحا
من المعنى ولو كان مظنونا سكن اليه واعتقده جزما وربما يكون غلطا فيكون
قد اعتقد في صفات الله تعالى ما هو الباطل او حكم عليه في كلامه بما لم يرده
به واما الثاني وهو تاويل المفسرين بالظن فلا نسلم ذلك فيما هو من صفات
الله تعالى كالاستواء والفوق وغيره بل لعل ذلك في الاحكام الفقهية او غيرها



حكايات احوال الانبياء والكفار والمواعظ والامثال وما لا يعظم خطر الخطاء
فيه واما الثالث فقد قال قائلون لا يجوز ان يعتمد في هذا الباب الا ما ورد
في القرآن او تواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم تواترا يفيد العلم فأما
اخبار الآحاد فلا يقبل فيه ولا نشتغل بتأويله عند من يميل الى التاويل و لا
بروايته عند من يقتصر على الرواية لان ذلك حكم بالظنون واعتماد عليه
وما ذكروه ليس ببعيد لكنه مخالف لظاهر ما درج عليه السلف فانهم قبلوا
هذه الاخبار من العدول ورووها وصححوها فالجواب من وجهين
احدهما ان التابعين كانوا قد عرفوا من ادلة الشرع انه لا يجوز اتهام العدل
بالكذب لا سيما في صفات الله تعالى فاذا روى الصديق رضي الله عنه
خبرا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا فرد روايته
تكذيب له ونسبة له الى الوضع أو الى السهو فقبلوه وقالوا قال ابو بكر قال
رسول الله عليه السلام وقال أنس قال رسول الله عليه السلام وكذا في التابعين
فالآن اذا ثبت عندهم بادلة الشرع انه لا سبيل الى اتهام العدل التقي من
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فمن اين يجب ان لا يتهم ظنون الآحاد
وان ينزل الظن منزلة نقل العدل مع ان بعض الظن اثم فاذا قال الشارع
ما اخبركم به العدل فصدقوه واقبلوه وانقلوه واظهروه فلا يلزم من
هذا أن يقال ما حدثكم به نفوسكم من ظنونكم فاقبلوه وأظهروه وأرووه
عن ظنونكم وضمائركم ونفوسكم ما قالته فليس هذا في معنى المنصوص
ولهذا نقول ما رواه غير العدل من هذا الجنس ينبغي أن يعرض عنه ولا
يروى ويحتاط فيه أكثر مما يحتاط في المواعظ والامثال وما يجري مجراها
والجواب الثاني ان تلك الاخبار روتها الصحابة لانهم سمعوه يقينا فما
نقلوا الا ما تيقنوه والتابعون قبلوه ورووه وما قالوا قال رسول الله عليه

السلام كذا بل قالوا قال فلان قال رسول الله عليه السلام كذا وكانوا صادقين
فيما اهملوا روايته لاشتمال كل حديث على فوائد سوى اللفظ الموهم عند
العارف معنى حقيقيا يفهمه منه ليس ذلك ظنيا في حقه مثاله رواية الصحابي
عن رسول الله عليه السلام قوله ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا
فيقول هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له الحديث
فهذا الحديث سيق لنهاية الترغيب في قيام الليل وله تأثير عظيم في تحريك
الدواعي للتهجد الذي هو أفضل العبادات فلو ترك هذا الحديث
لبطلت هذه الفائدة العظيمة ولا سبيل الى اهمالها وليس فيه الا ايهام
لفظ النزول عند الصبي والعامي الجاري مجرى الصبي وما اهون على
البصير ان يغرس في قلب العامي التنزيه والتقديس عن صورة النزول
بان يقول له ان كان نزوله الى السماء الدنيا ليسمعنا نداءه وقوله فما اسمعنا
فأي فائدة في نزوله ولقد كان يمكنه ان ينادينا كذلك وهو على العرش او
على السماء العليا فهذا القدر يعرف العامي ان ظاهر النزول باطل بل هو مثال
الذي يريد من في المشرق اسماع شخص في المغرب ومناداته فيتقدم الى
المغرب باقدام معدودة واخذ يناديه وهو يعلم انه لا يسمع فيكون نقله
للاقدام عملا باطلا وفعلا كفعل المجانين فكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل
بل يضطر بهذا القدر كل عامي الى ان يتيقن نفي صورة النزول وكيف وقد
علم استحالة الجسمية عليه واستحالة الانتقال على غير الاجسام كاستحالة النزول
من غير انتقال فان الفائدة في نقل هذه الاخبار عظيمة والضرر يسير فأنى
يساوي هذا حكاية الظنون المنقدحة في الانفس فهذه سبيل تجاذب
طرق الاجتهاد في اباحة ذكر التأويل الظنون او المنع ولا يبعد ذكر وجه
ثالث وهو ان ينظر الى قرائن حال السائل والمستمع فان علم انه ينتفع بذكره

وان علم انه يتضرر به تركه وان ظن احد الامرين كان ظنه كالعلم في اباحة الذكر
وكم من انسان لا تتحرك داعيته بالمنا الى معرفة هذه المعاني ولا يحيك في
نفسه اشكال من ظواهرها فذكر التاويل معه مشوش وكم من انسان يحيك
في نفسه اشكال الظاهر حتى يكاد ان يسوء اعتقاده في الرسول عليه السلام
وينكر قوله فمثل هذا لو ذكر معه الاحتمال المظنون بل مجرد الاحتمال
الذي ينبو عنه اللفظ انتفع به ولا بأس بذكره معه فانه دواء لدائه وان كان داء
في غيره ولكن لا ينبغي ان يذكر على رؤس المنابر لان ذلك يحرك الدواعي الساكنة
من اكثر المستمعين وقد كانوا عنه غافلين وعن اشكاله منفكين ولما كان
زمان السلف الاول زمان سكون القلب بالغوا في الكف عن التأويل خيفة من
تحريك الدواعي وتشويش القلوب فمن خالفهم في ذلك الزمان فهو الذي
حرك الفتنة والقى هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه فباء بالاثم
اما الآن وقد فشا ذلك في بعض البلاد فالعذر في اظهار شيء من ذلك
رجاء لاماطة الاوهام الباطلة عن القلوب اظهر واللوم عن قائله اقل فان
قيل فقد فرقتم بين التأويل المقطوع والمظنون فبماذا يحصل القطع بصحة
التأويل قلنا بامرين احدهما ان يكون المعنى مقطوعا بثبوته لله تعالى كفوقية
المرتبة والثاني ان لا يكون اللفظ الا محتملا لامرين وقد بطل احدهما و
تعين الثاني مثاله قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده فانه ان ظهر في عرف
اللسان ان الفوق لا يحتمل الا فوقية المكان او فوقية الرتبة وقد بطل فوقية المكان
لمعرفة التقديس فلم يبق الا فوقية الرتبة كما يقال السيد فوق العبد والزوج
فوق الزوجة والسلطان فوق الوزير فالله فوق عباده بهذا المعنى وهذا
كالمقطوع به في لفظ الفوق وانه لا يستعمل في لسان العرب الا في هذين
المعنيين اما لفظ الاستواء الى السماء وعلى العرش ربما لا ينحصر مفهومه

في اللغة هذا الانحصار واذا تردد بين ثلاثة معان معنيان جائزان على الله
تعالى ومعنى واحد هو الباطل فتنزيله على احد المعنيين الجائزين ان يكون
بالظن وبالاحتمال المجرد وهذا اتمام النظر في الكذب عن التأويل التصرف
الثالث الذي يجب الامساك عنه التصريف ومعناه انه اذا ورد قوله تعالى
استوى على العرش فلا ينبغي أن يقال مستو ويستوي لان المعنى يجوز أن يختلف
لان دلالة قوله هو مستو على العرش على الاستقرار أظهر من قوله رفع
السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش الآية بل هو كقوله خلق لكم
ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فان هذا يدل على استواء قد انقضى من
اقبال على خلقه او على تدبير المملكة بواسطته ففي تغيير التصاريف ما يوثق
في تغيير الدلالات والاحتمالات فليجتنب التصريف كما يجتنب الزيادة فان
تحت التصريف الزيادة والنقصان التصرف الرابع الذي يجب الامساك
عنه القياس والتفريع مثل ان يرد لفظ اليد فلا يجوز اثبات الساعد والعضد
والكف مصيرا الى أن هذا من لوازم اليد واذا ورد الاصبع لم يجز ذكر
الانملة كما لا يجوز ذكر اللحم والعظم والعصب وان كانت اليد المشهورة
لا تنفك عنه وابعد من هذه الزيادة اثبات الرجل عند ورود اليد و
اثبات الفم عند ورود العين او عند ورود الضحك واثبات الاذن
والعين عند ورود السمع والبصر وكل ذلك محال وكذب وزيادة و
قد يتجاسر بعض الحمقى من المشبهة الحشوية فلذلك ذكرناه التصرف
الخامس لا يجمع بين متفرق ولقد بعد عن التوفيق من صنف كتابا في جمع
هذه الاخبار خاصة ورسم في كل عضو بابا فقال باب في اثبات الراس وباب في اليد
الى غير ذلك وسماه كتاب الصفات فان هذه كلمات متفرقة صدرت من رسول
الله عليه السلام في أوقات متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة تفهم

السامعين معاني صحيحة فاذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الانسان صار جمع تلك
المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تأكيد الظاهر وايهام التشبيه وصار
الاشكال في أن الرسول عليه السلام لم ينطق بما يوهم خلاف الحق أعظم في النفس
أوقع بل الكلمة الواحدة يتطرق اليها الاحتمال فاذا اتصل بها ثانية وثالثة ورابعة من
جنس واحد صار متواليا يضعف الاحتمال بالاضافة الى الجملة ولذلك يحصل من
الظن بقول المخبرين وثلاثة ما لا يحصل بقول الواحد بل يحصل من العلم القطعي
بخبر التواتر ما لا يحصل بالآحاد ويحصل من العلم القطعي باجتماع التواتر ما
لا يحصل بالآحاد وكل ذلك نتيجة الاجتماع اذ يتطرق الاحتمال الى قول كل عدل
والى كل واحدة من القرائن فاذا انقطع الاحتمال أو ضعف فلذلك لا يجوز
جمع المتفرقات التصرف السادس التفريق بين المجتمعات فكما لا يجمع بين
متفرقة فلا يفرق بين مجتمعة فان كل كلمة سابقة على كلمة او لاحقة لها مؤثرة
في تفهيم معناها مطلقا ومرجحة الاحتمال الضعيف فيه فاذا فرقت وفصلت
سقطت دلالتها مثاله قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده. لا تسلط على أن
يقول القائل هو فوق لانه اذا ذكر القاهر قبله ظهر دلالة الفوق على الفوقية التي
للقاهر مع المقهور وهي فوقية الرتبة ولفظ القاهر يدل عليه بل لا يجوز أن
يقول وهو القاهر فوق غيره بل ينبغي ان يقول فوق عباده. لأن ذكر العبودية
في وصف من الله فوقه يؤكد احتمال فوقية السيادة اذ يحسن أن يقال زيد فوق
عمرو قبل ان يتبين تفاوتهما في معنى السيادة والعبودية أو غلبة القهر أو نفوذ
الامر بالسلطنة أو بالابوة أو بالزوجية فهذه الامور يغفل عنها العلماء فضلا
عن العوام فكيف يسلط العوام في مثل ذلك على التصرف بالجمع والتفريق و
التأويل والتفسير وانواع التغيير فلاجل هذه الدقائق بالغ السلف في الجمود
والاقتصار على موارد التوقيف كما ورد على الوجه الذي ورد وباللفظ الذي

ورع فالحق ما قالوه والصواب ما رأوه فأهم المواضع بالاحتياط ما هو تصرف في
في ذات الله وصفاته وأحق المواضع بإلجام اللسان وتقييده عن الجريان
فيما يعظم فيه الخطر وأي خطر أعظم من الكفر الوظيفة السادسة في الكف
بعد الإمساك وأعني بالكف كف الباطن عن التفكر في هذه الأمور فذلك
واجب عليه كما وجب عليه إمساك اللسان عن السؤال والتصرف وهذا
أثقل الوظائف وأشدها وهو واجب كما وجب على العاجز الزمن أن لا
يخوض غمرة البحار وإن كان يتقاضاه طبعه أن يغوص في البحار ويخرج
دررها وجواهرها ولكن لا ينبغي أن يغره نفاسة جواهرها مع عجزه عن نيلها
بل ينبغي أن ينظر إلى عجزه وكثرة معاطبها ومهالكها ويتفكر أنه إن فاته نفائس
البحار فما فاته إلا زيادات وتوسعات في المعيشة وهو مستغن عنها فإنه إن
غرق أو التقمه تمساح فاته أصل الحياة فإن قلت إن لم ينصرف قلبه عن التفكر
والتشوف إلى البحث فما طريقه قلت طريقه أن يشغل نفسه بعبادة الله و
بالصلاة وقراءة القرآن والذكر فإن لم يقدر فبعلم آخر لا يناسب هذا الجنس
من لغة أو نحو أو خط أو طب أو فقه فإن لم يمكنه فبحرفة أو صناعة ولو الحراثة
والحياكة فإن لم يقدر فبلعب ولهو وكل ذلك خير له من الخوض في هذا البحر
البعيد غوره وعمقه العظيم خطره وضرره بل لو اشتغل العامي بالمعاصي البدنية
ربما كان أسلم له من أن يخوض في البحث عن معرفة الله تعالى فإن ذلك غايته
الفسق وهذا عاقبته الشرك وإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فإن قلت العامي إذا لم تسكن نفسه إلى الاعتقادات الدينية إلا
بدليل فهل يجوز أن يذكر له الدليل فإن جوزت ذلك فقد رخصت له
في التفكر والنظر وأي فرق بينه وبين غيره الجواب أني أجوز له أن يسمع الدليل
على معرفة الخالق ووحدانيته وعلى صدق الرسول وعلى اليوم الآخر ولكن

بشرطين

بشرطين أحدهما أن لا يزاد معه على الأدلة التي في القرآن والآخر أن لا يماري
فيه الا مراء ظاهرا ولا يتفكر فيه الا تفكرا سهلا جليا ولا يمعن في التفكر ولا يوغل
غاية الايغال في البحث وأدلة هذه الأمور الاربعة ما ذكر في القرآن اما
الدليل على معرفة الخالق فمثل قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها والقينا فيها
رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب و
نزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات
لها طلع نضيد وكقوله فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم
شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا وفاكهة وابا وقوله الم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا الى قوله
وجنات الفافا وامثال ذلك وهي قريب من خمسمائة آية جمعناها في كتاب
جواهر القرآن بما ينبغي ان يعرف الخلق جلال الله الخالق وعظمته لا
بقول المتكلمين ان الاعراض حادثة وان الجواهر لا تخلو عن الاعراض
الحادثة فهي حادثة ثم الحادث يفتقر الى محدث فان تلك التقسيمات و
المقدمات واثباتها بادلتها الرسمية يشوش قلوب العوام والدلالات
الظاهرة القريبة من الافهام على ما في القرآن تنفعهم وتسكن نفوسهم
وتغرس في قلوبهم الاعتقادات الجازمة وأما الدليل على الوحدانية
فيقنع فيه بما في القرآن من قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فان
اجتماع المدبرين سبب افساد التدبير وبمثل قوله لو كان معه آلهة كما
يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقوله تعالى ما اتخذ الله

ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
وأما صدق الرسول فيستدل عليه بقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس و
الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا وبقوله فأتوا بسورة من مثله وقوله قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
وامثاله واما اليوم الآخر فيستدل عليه بقوله قل من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي انشأها أول مرة وبقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى
الم يك نطفة من مني يمنى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
وبقوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
الى قوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى
وامثال ذلك كثير في القرآن فلا ينبغي ان يزاد عليه فان قيل فهذه الادلة
التي اعتمدها المتكلمون وقرروا وجه دلالتها فما بالهم يمنعون عن تعريف
هذه الادلة ولا يمنعون عنها وكل ذلك مدرك بنظر العقل وتأمله فان فتح
للعامي باب النظر فليفتح مطلقا او ليسد عليه طريق النظر رأسا وليكلف
التقليد من غير دليل الجواب ان الادلة تنقسم الى ما يحتاج فيه الى تفكر
وتدقيق خارج عن طاقة العامي وقدرته والى ما هو جلي سابق الى الا
فهام ببادي الرأي من اول النظر يدركه كافة الناس بسهولة فهذا لا خطر
فيه وما يفتقر الى التدقيق فليس على حد وسعه فادلة القرآن مثل الغذاء
ينتفع به كل انسان وادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر
به الاكثرون بل ادلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي
وسائر الادلة كالاطعمة التي ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها اخرى ولا
ينتفع بها الصبيان اصلا ولهذا قلنا ادلة القرآن ايضا ينبغي ان يصغى اليها
اصغاء الى كلام جلي ولا يماري فيه الا مراء ظاهرا ولا يكلف نفسه تدقيق



الفكر وتحقيق النظر فمن الجلى ان من قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر
كما قال هو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وان التدبير لا
ينتظم فى دار واحدة بمدبرين فكيف ينتظم فى كل العالم وان من خلق علم كما قال
تعالى الا يعلم من خلق فهذه الادلة تجرى للعوام مجرى الماء الذى جعل الله منه
كل شىء حى وما أخذته المتكلمون وراء ذلك من تنقير وسؤال وتوجيه
اشكال ثم اشتغال بحله فهو بدعة وضرره فى حق اكثر الخلق ظاهر فهو الذى
ينبغى ان يتوقى والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والعيان والتجربة وما
ثار من الشر منذ نبغ المتكلمون وفشت صناعة الكلام مع سلامة العصر الاول
من الصحابة عن مثل ذلك ويدل عليه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصحابة باجمعهم ما سلكوا فى المحاجة مسلك المتكلمين فى تقسيماتهم
وتدقيقاتهم لا لعجز منهم عن ذلك فلو علموا ان ذلك نافع لاطنبوا فيه
ولخاضوا فى تحرير الادلة خوضا يزيد على خوضهم فى مسائل الفرائض فان
قيل انما امسكوا عنه لقلة الحاجة فان البدع انما نبغت بعدهم فعظمت حاجة
المتأخرين وعلم الكلام مراجع الى علم معالجة المرضى بالبدع فلما قلت فى
زمانهم امراض البدع قلت عنايتهم بجميع طرق المعالجة فالجواب من وجهين
احدهما انهم فى مسائل الفرائض ما اقتصروا على بيان حكم الوقائع بل
وضعوا المسائل وفرضوا فيها ما تنقضى الدهور ولا يقع مثله لان ذلك
مما امكن وقوعه فصنفوا علمه ورتبوه قبل وقوعه اذ علموا انه لا ضرر فى
الخوض فيه وفى بيان حكم الواقعة قبل وقوعها والعناية بازالة البدع
ونزعها عن النفوس أهم فلم يتخذوا ذلك صناعة لانهم عرفوا ان
الاستقلال بالخوض فيه اكثر من الانتفاع ولولا انهم كانوا قد حذروا
من ذلك وفهموا تحريم الخوض لخاضوا فيه والجواب الثانى انهم كانوا

محتاجين الى محاجة اليهود والنصارى فى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
والى اثبات البعث مع منكريه ثم ما زادوا على تلك القواعد التى هى امهات العقائد
على ادلة القرآن فمن اقنعه ذلك قبلوه ومن لم يقنع قتلوه وعدلوا الى السيف
والسنان بعد افشاء ادلة القرآن وما ركبوا ظهر اللجاج فى وضع المقاييس
العقلية وترتيب المقدمات وتحرير طريق المجادلة وتذليل طرقها ومنهاجها
كل ذلك لعلمهم بان ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش ومن لا يقنعه ادلة
القرآن لا يقمعه الا السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان على انا ننصف
ولا ننكر ان حاجة المعالجة تزيد بزيادة المرض وان لطول الزمان وبعد العهد
عن عصر النبوة تأثيرا فى اثارة الاشكالات وان للعلاج طريقين احدهما
الخوض فى البيان والبرهان الى ان يصلح واحد ويفسد به اثنان فانه صلاح
بالاضافة الى الاكياس وفساده بالاضافة الى البله وما اقل الاكياس وما اكثر
البله والعناية بالاكثرين اولى والطريق الثانى طريق السلف فى الكف و
السكوت والعدول الى الدرة والسوط والسيف وذلك مما يقنع الاكثرين
وان كان لا يقنع الاقلين وآية اقناعه ان من يسترق من الكفار من العبيد
والاماء تراهم يسلمون تحت ظلال السيوف ثم يستمرون عليه حتى يصير
طوعا ما كان فى البداية كرها ويصير اعتقادا جزما ما كان فى الابتداء مراء
وشكا وذلك بمشاهدة اهل الدين والمؤانسة بهم وسماع كلام الله وسيرة
الصالحين وخبرهم وقرائن من هذا الجنس تناسب طباعهم مناسبة اشد
من مناسبة الجدل والدليل فاذا كان كل واحد من العلاجين يناسب
قوما دون قوم وجب ترجيح الانفع فى الاكثر فالمعاصرون للطبيب الاول
المؤيد بروح القدس المكاشف من الحضرة الالهية الموحى اليه من الخبير
البصير باسرار عباده وبواطنهم اعرف بالاصوب والاصلح قطعا فسلوك

سبيلهم لا محالة أولى الوظيفة السابعة التسليم لاهل المعرفة وبيانه انه يجب على العامى ان يعتقد ان ما انطوى عنه من معانى هذه الظواهر واسرارها ليس منطويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصديق وعن اكابر الصحابة وعن الاولياء والعلماء الراسخين وانه انما انطوى عنه لعجزه وقصور معرفته فلا ينبغى ان يقيس بنفسه غيره فلا تقاس الملائكة بالحدادين وليس ما يخلو عنه مخادع العجائز يلزم منه ان يخلو عنه خزائن الملوك فقد خلق الناس اشتاتا متفاوتين كمعادن الذهب والفضة وسائر الجواهر فانظر الى تفاوتها وتباعد ما بينها صورة ولونا وخاصية ونفاسة فكذلك القلوب معادن لسائر جواهر المعارف فبعضها معدن النبوة والولاية والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها معدن للشهوات البهيمية والاخلاق الشيطانية بل ترى الناس يتفاوتون فى الحرف والصناعات فقد يقدر الواحد بخفة يده وحذاقة صناعته على امور لا يطمع الآخر فى بلوغ اوائلها فضلا عن غايتها ولو اشتغل بتعلمه جميع عمره فكذلك معرفة الله تعالى بل كما ينقسم الناس الى جبان عاجز لا يطيق النظر الى تلاطم امواج البحر وان كان على ساحله والى من يطيق ذلك ولكن لا يمكنه الخوض فى اطرافه وان كان قائما فى الماء على رجله والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق رفع الرجل عن الارض اعتمادا على السباحة والى من يطيق السباحة الى حد قريب من الشط لكن لا يطيق خوض البحر الى اللجة والمواضع المغرقة المخطرة والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق الغوص فى عمق البحر الى مستقره الذى فيه نفائسه وجواهره فهكذا مثال بحر المعرفة وتفاوت الناس فيه مثله حذو القذة بالقذة من غير فرق فان قيل فالعارفون محيطون بكمال معرفة الله سبحانه حتى لا ينطوى عنهم شئ قلنا هيهات فقد بينا بالبرهان القطعى فى كتاب المقصد الاقصى فى معانى اسماء الله الحسنى أنه لا يعرف الله كنه معرفته الا الله وان الخلائق وان

السمت معرفتهم وعجز عن علمه فاذا اضيف ذلك الى علم الله سبحانه فما اوتوا من
العلم الا قليلا لكن ينبغي ان يعلم ان الحضرة الالهية محيطة بكل ما في الوجود اذ ليس
في الوجود الا الله وافعاله فالكل من الحضرة الالهية كما ان جميع ارباب الولايات في
المعسكر حتى الحراس هم من المعسكر فهم من جملة الحضرة السلطانية وانت لا تفهم
الحضرة الالهية الا بالتمثيل الى الحضرة السلطانية فاعلم ان كل ما في الوجود داخل
في الحضرة الالهية ولكن كما ان السلطان له في مملكته قصر خاص وفي فناء قصره
ميدان واسع ولذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ولا يمكنون من مجاوزة
العتبة ولا الى طرف الميدان ثم يؤذن لخواص المملكة في مجاوزة العتبة ودخول
الميدان والجلوس فيه على تفاوت في القرب والبعد بحسب مناصبهم وربما لا يطرق
الى القصر الخاص الا الوزير وحده ثم ان الملك يطلع الوزير من اسرار ملكه على ما
يريد ويستأثر عنه بامور لا يطلعه عليها فكذلك فافهم على هذا المثال تفاوت
الخلق في القرب والبعد من الحضرة الالهية فالعتبة التي هي آخر الميدان موقف
جميع العوام ومردهم لا سبيل لهم الى مجاوزتها فان جاوزوا حدهم استوجبوا
الزجر والتنكيل واما العارفون فقد جاوزوا العتبة وانسرحوا في الميدان ولهم
فيه جولان على حدود مختلفة في القرب والبعد وتفاوت ما بينهم كثير وان
اشتركوا في مجاوزة العتبة وتقدموا على العوام المفترشين واما حظيرة القدس
في صدر الميدان فهي اعلى من ان يطأها اقدام العارفين وارفع من ان تمتد اليها
ابصار الناظرين بل لا يلمح ذلك الجناب الرفيع صغير وكبير الا اغض من الدهشة
والحيرة طرفه فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير فهذا ما يجب على العامي ان
يؤمن بجملته وان لم يحط به تفصيلا فهذه هي الوظائف السبع الواجبة على عوام
الخلق في هذه الاخبار التي سألت عنها وهي حقيقة مذهب السلف واما الآن
فنشتغل باقامة الدليل على ان الحق هو مذهب السلف الباب الثاني في اقامة

البرهان

البرهان على ان الحق مذهب السلف وعليه برهانان عقلي وسمعي اما العقلي فاثنان كلي وتفصيلي اما البرهان الكلي على ان الحق مذهب السلف فينكشف بتسليم اربعة اصول هي مسلمة عند كل عاقل الاول ان اعرف الخلق بصلاح احوال العباد بالاضافة الى حسن المعاد هو النبي صلى الله عليه وسلم فان ما ينتفع به في الآخرة او يضر لا سبيل الى معرفته بالتجربة كما عرف الطبيب اذ لا مجال للعلوم التجريبية الا بما يشاهد على سبيل التكرر ومن الذى رجع من ذلك العالم فادرك بالمشاهدة ما نفع وضر واخبر عنه ولا يدرك بقياس العقل فان العقول قاصرة عن ذلك والعقلاء باجمعهم معترفون بان العقل لا يهتدى الى ما بعد الموت ولا يرشد الى وجه ضرر المعاصي ونفع الطاعات لا سيما على سبيل التفصيل و التحديد كما وردت به الشرائع بل اقروا بجملتهم ان ذلك لا يدرك الا بنور النبوة وهي قوة وراء قوة العقل يدرك بها من امر الغيب في الماضي والمستقبل امور لا على طريق التعرف بالاسباب العقلية وهذا مما اتفق عليه الاوائل من الحكماء فضلا عن الاولياء والعلماء الراسخين القاصرين نظرهم على الاقتباس من حضرة النبوة المقرين بقصور كل قوة سوى هذه القوة الاصل الثاني انه صلى الله عليه وسلم افاض الى الخلق ما اوحى اليه من صلاح العباد في معادهم و معاشهم وانه ما كتم شيئا من الوحي واخفاه وطواه عن الخلق فانه لم يبعث الا لذلك ولذلك كان رحمة للعالمين فلم يكن متهما فيه وعرف ذلك علما ضروريا من قرائن احواله في حرصه على اصلاح الخلق وشغفه بارشادهم الى صلاح معاشهم ومعادهم فما ترك شيئا مما يقرب الخلق الى الجنة ورضاء الخالق الا دلهم عليه وامرهم به وحثهم عليه ولا شيئا مما يقربهم الى النار والى سخط الله الا حذرهم منه ونهاهم عنه وذلك في العلم والعمل جميعا الاصل الثالث ان اعرف الناس بمعاني كلامه واحراهم بالوقوف على

كنهه ودرك اسراره الذين شاهدوا الوحي والتنزيل وعاصروه وصاحبوه بل لازموه
آناء الليل والنهار متشمرين لفهم معاني كلامه وتلقيه بالقبول للعمل به
أولا وللنقل الى من بعدهم ثانيا وللتقرب الى الله سبحانه وتعالى بسماعه وفهمه
وحفظه ونشره وهم الذين حثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السماع و
الفهم والحفظ والاداء فقال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما
سمعها الحديث فليت شعري أيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باخفائه و
كتمانه عنهم حاشا منصب النبوة عن ذلك أو يتهم اولئك الاكابر في فهم كلامه
وادراك مقاصده أو يتهمون في اخفائه واسراره بعد الفهم أو يتهمون في
معاندته من حيث العمل ومخالفته على سبيل المكابرة مع الاعتراف بتفهيمه و
تكليفه فهذه أمور لا يتسع لتقديرها عقل عاقل الاصل الرابع انهم في طول
عصرهم الى آخر اعمارهم ما دعوا الخلق الى البحث والتفتيش والتفسير والتأويل
والتعرض لمثل هذه الامور بل بالغوا في زجر من خاض فيه وسأل عنه و
تكلم به على ما سنحكيه عنهم فلو كان ذلك من الدين أو كان من مدارك الاحكام
وعلم الدين لاقبلوا عليه ليلا ونهارا ودعوا اليه أولادهم وأهليهم وشمروا عن
ساق الجد في تأسيس أصوله وشرح قوانينه تشميرا ابلغ من تشميرهم في تمهيد
قواعد الفرائض والمواريث فنعلم بالقطع من هذه الاصول ان الحق ما
قالوه والصواب ما رأوه لا سيما وقد اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال صلى الله عليه وسلم
ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة فقيل من هم فقال
أهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة فقال ما انا عليه الآن و
أصحابي البرهان الثاني وهو التفصيلي فنقول ادعينا ان الحق هو مذهب
السلف وان مذهب السلف هو توظيف الوظائف السبع على عوام الخلق

في ظواهر الأخبار المتشابهة وقد ذكرنا برهان كل وظيفة معها فهو برهان كونه
حقا فمن يخالف ليت شعري أيخالف في قولنا الأول انه يجب على العامي التقديس
للحق عن التشبيه ومشابهة الاجسام أو في قولنا الثاني انه يجب عليه التصديق
والايمان بما قاله الرسول عليه السلام بالمعنى الذي اراده أو في قولنا الثالث انه
يجب عليه الاعتراف بالعجز عن درك حقيقة تلك المعاني أو في قولنا الرابع انه
يجب عليه السكوت عن السؤال والخوض فيما هو وراء طاقته او في قولنا الخامس
انه يجب عليه امساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان والجمع
والتفريق أو في قولنا السادس انه يجب عليه كف القلب عن التذكر فيه والفكر
مع عجزه عنه وقد قيل لهم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق أو في قولنا
السابع انه يجب عليه التسليم لأهل المعرفة من الانبياء والاولياء والعلماء
الراسخين فهذه امور بيانها برهانها ولا يقدر أحد على جحدها وانكارها
ان كان من اهل التمييز فضلا عن العلماء والعقلاء فهذه هي البراهين
العقلية النمط الثاني البرهان السمعي على ذلك وطريقه ان نقول الدليل
على ان الحق مذهب السلف ان نقيضه بدعة والبدعة مذمومة وضلالة
والخوض من جهة العوام في التأويل والخوض بهم فيه من جهة العلماء
بدعة مذمومة وكان نقيضه وهو الكف عن ذلك سنة محمودة فههنا
ثلاثة اصول احدها ان البحث والتفتيش والسؤال عن هذه الامور
بدعة والثاني ان كل بدعة فهي مذمومة والثالث ان البدعة اذا كانت
مذمومة كان نقيضها وهي السنة القديمة محمودة ولا يمكن النزاع في شيء
من هذه الاصول فاذا اسلم ذلك ينتج ان الحق مذهب السلف فان قيل
فبم تنكرون على من يمنع كون البدعة مذمومة او يمنع كون البحث والتفتيش
بدعة فينازع في هذين وان لم ينازع في الثالث لظهوره فنقول الدليل على

اثبات الاصل الاول من كون البدعة مذمومة اتفاق الامة قاطبة على ذم
البدعة وزجر المبتدع وتعيير من يعرف بالبدعة وهذا امر معلوم على الضرورة
من الشرع وذلك غير واقع في محل الظن فقد ذم رسول الله عليه السلام البدعة
علم بالتواتر بمجموع اخبار يفيد العلم القطعي جملتها وان كان الاحتمال يتطرق
الى آحادها وذلك كعلمنا بشجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم وحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وما يجري مجراه فانه علم
قطعا باخبار آحاد بلغت في الكثرة مبلغا لا يحتمل كذب ناقليها وان لم تكن
آحاد تلك الاخبار متواترة وذلك مثل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال صلى الله عليه وسلم اتبعوا ولا تبتدعوا
فانما هلك من كان قبلكم لما ابتدعوا في دينهم وتركوا سنن انبيائهم وقالوا
بآرائهم فضلوا واضلوا وقال عليه السلام اذا مات صاحب بدعة فقد فتح
على الاسلام فتح وقال عليه السلام من مشى الى صاحب بدعة ليوقره فقد
اعان على هدم الاسلام وقال عليه السلام من اعرض عن صاحب بدعة
بغضا له في الله ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن انتهر صاحب بدعة رفع الله
له مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة او لقيه بالبشر او استقبله بما يسره
فقد استخف بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يقبل لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا زكاة ولا حجا ولا عمرة ولا
جهادا ولا صرفا ولا عدلا ويخرج من الاسلام كما يخرج السهم من الرمية
او كما تخرج الشعرة من العجين فهذا وامثاله مما يجاوز حد الحصر افاد علما
ضروريا بكون البدعة مذمومة فان قيل سلمنا ان البدعة مذمومة ولكن

ما دليل الاصل الثاني وهو ان هذه بدعة فان البدعة عبارة عن كل محدث كما قال الشافعي رضي الله عنه الجماعة في التراويح بدعة وهي بدعة حسنة وخوض الفقهاء في تفاريع الفقه ومناظرتهم فيها مع ما ابدعوه من نقض وكسر وفساد وضع وتركيب ونحوه من فنون مجادلة والزام كل ذلك مبدع لم يؤثر عن الصحابة شيء من ذلك فدل على ان البدعة المذمومة ما رفعت سنة مأثورة ولا نسلم ان هذا رافع لسنة ثابتة لكنه محدث ما خاض فيه الاولون اما لاشتغالهم بما هو اهم منه واما لسلامة القلوب في العصر الاول عن الشكوك والترددات فاستغنوا عن ذلك وخاض فيه من بعدهم لمسيس الحاجة حيث حدثت الاهواء والبدع الى ابطالها وافحام منتحلها الجواب اما ما ذكرتموه من ان البدعة المذمومة ما رفعت سنة قديمة هو الحق وهذا بدعة رفعت سنة قديمة اذ كان سنة الصحابة المنع من الخوض فيه وزجر من سأل عنه والمبالغة في تأديبه ومنعه فتح باب السؤال عن هذه المسائل و الخوض بالعوام في غمرة هذه المشكلات على خلاف ما تواتر عنهم وقد صح ذلك عن الصحابة بتواتر النقل عند التابعين من نقلة الآثار وسير السلف تواترًا لا يتطرق اليهما ريب وشك كما تواتر خوضهم في مسائل الفرائض ومشاورتهم في الوقائع الفقهية وحصل العلم به ايضا باخبار آحاد لا يتطرق الشك الى مجموعها كما نقل عن عمر رضي الله عنه انه سأله سائل عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة وكما روي انه سأله سائل عن القرآن أهو مخلوق أم لا فتعجب عمر من قوله فاخذ بيده حتى جاء به الى علي رضي الله عنه فقال يا أبا الحسن اسمع ما يقول هذا الرجل قال وما يقول يا أمير المؤمنين فقال الرجل سألته عن القرآن أمخلوق هو أم لا فوجم لها رضي الله عنه وطأطأ راسه ثم رفع رأسه وقال سيكون لهذا الكلام نبأ في آخر الزمان ولو وليت من أمره

ما وليت لضربت عنقه وقد روى احمد بن حنبل هذا الحديث عن ابي هريرة
فهذا اقول علي بحضور عمر وابي هريرة رضي الله عنهم ولم يقولا له ولا أحد
ممن بلغه ذلك من الصحابة ولا عرف علي رضي الله عنه في نفسه ان هذا سؤال
عن مسألة دينية وتعرف لحكم كلام الله تعالى وطلب معرفة لصفة القرآن الذي
هو معجزة دالة على صدق الرسول بل هو الدليل المعرف لاحكام التكليف
فلم يستوجب طالب المعرفة هذا التشديد فانظر الى فراسة علي واشرافه على
ان ذلك قرع لباب الفتنة وان ذلك سينتشر في آخر الزمان الذي هو موسم
الفتن ومظنتها بوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانظر الى تشديده
وقوله ولو وليت لضربت عنقه فمثل اولئك السادة الاكابر الذين شاهدوا
الوحي والتنزيل واطلعوا على اسرار الدين وحقائقه وقد قال صلى الله عليه و
سلم في أحدهما لو لم أبعث لبعث عمر وقال في الثاني انا مدينة العلم وعلي
بابها يزجرون السائل عن مثل هذا السؤال ثم يزعم من بعدهم من
المشغوفين بالكلام والمجادلة وممن لو انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد
أحدهم ولا نصيفه ان الحق والصواب قبول هذا السؤال والخوض في الجواب
وفتح هذا الباب ثم يعتقد فيه أنه محق وفي عمر وعلي أنهما مبطلان فيهما
ما أبعد عن التحصيل وما أخلى عن الدين من قاس الملائكة بالحدادين
ويرجح الجادلين على الائمة الراشدين والسلف فاذا اقل معرف على
القطع ان هذه بدعة مخالفة لسنة السلف لا كخوض الفقهاء في التفاريع
والتفاصيل فانه ما نقل عنهم زجر عن الخوض فيه بل امعانهم في الخوض و
أما ما ابدع من فنون المجادلات فهي بدعة مذمومة عند أهل التحصيل
ذكرنا وجه ذمها في كتاب قواعد العقائد من كتب الاحياء وأما مناظرتهم
ان كان القصد منها التعاون على البحث عن مآخذ الشرع ومدارك الاحكام

فهي سنة السلف ولقد كانوا يتشاورون ويتناظرون في المسائل الفقهية
لا نقل في مسألة الجد وميراث الام مع الزوج والأب ومسائل سواها فمن
ان أبدعوا ألفاظا وعبارات للتنبيه على مقاصدهم الصحيحة فلا حرج في العبارات
بل هي مباحة ان يستعيرها ويستعملها وان كان مقصدهم المذموم من النظر
الا الخامدون الاعلام والا لزام دون الاستعلام فذلك بدعة على خلاف
السنة المأثورة

الباب الثالث في فصول متفرقة وابواب نافعة في هذا الفن

فصل ان قال قائل ما الذي دعا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اطلاق هذه الالفاظ الموهمة مع الاستغناء
عنها أكان لا يدري أنه يوهم التشبيه ويغلط الخلق ويسوقهم الى اعتقاد
الباطل في ذات الله تعالى وصفاته وحاشا منصب النبوة ان يخفى عليه ذلك
أو عرف لكن لم يبال بجهل الجهال وضلالة الضلال وهذا ابعد وأشنع
لانه بعث شارحا فكيف يجعل الأمر ملبسا ملغزا وهذا اشكال له وقع في القلوب حتى
جر بعض الخلق الى سوء الاعتقاد فيه فقالوا لو كان نبيا لعرف الله ولو عرفه
لما وصفه بما يستحيل عليه في ذاته وصفاته ومالت طائفة اخرى الى اعتقاد
الظواهر وقالوا لو لم يكن حقا لما ذكره كذلك مطلقا ولعدل عنها الى غيرها
او قرنها بما يزيل الايهام عنها فما سبيل حل هذا الاشكال العظيم الجواب
ان هذا الاشكال منحل عند اهل البصيرة وبيانه ان هذه الكلمات ما جمعها
رسول الله دفعة واحدة وما ذكرها وانما جمعها المشبهة وقد بينا ان لجمعها
من التأثير في الايهام والتلبيس على الافهام ما ليس لآحادها المفرقة وانما
هي كلمات لهج بها في جميع عمره في اوقات متباعدة واذا اقتصر منها على ما
في القرآن والاخبار المتواترة رجعت الى كلمات يسيرة معدودة وان أضيفت
اليها الاخبار الصحيحة فهي ايضا قليلة وانما كثرت الروايات الشاذة الضعيفة

التي لا يجوز التعويل عليها ثم ما تواتر منها ان صح نقلها عن العدول فهي
آحاد كلمات وما ذكر صلى الله عليه وسلم كلمة منها الا مع قرائن واشارات
تزيل معها ايهام التشبيه وقد ادركها الحاضرون المشاهدون فاذا نقل
الالفاظ مجردة عن تلك القرائن ظهر الايهام وأعظم القرائن في زوال
الايهام المعرفة السابقة بتقديس الله تعالى عن قبول هذه الظواهر ومن سبقت
معرفته بذلك كانت تلك المعرفة ذخيرة له راسخة في نفسه مقارنة لكل ما
يسمع فينمحق معه الايهام انمحاقا لا يشك فيه ويعرف هذا بامثلة
الاول انه صلى الله عليه وسلم سمى الكعبة بيت الله تعالى والاطلاق هذا
يوهم عند الصبيان وعند من تقرب درجتهم منهم ان الكعبة وطنه ومثواه
لكن العوام الذين اعتقدوا انه في السماء وان استقراره على العرش
ينمحق في حقهم هذا الايهام على وجه لا يشكون فيه فلو قيل لهم ما الذي
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اطلاق هذا اللفظ الموهم المخيل الى
السامع ان الكعبة مسكنه لبادروا بأجمعهم وقالوا هذا انما يوهم في حق
الصبيان والحمقى اما من تكرر على سمعه ان الله مستقر على عرشه فلا يشك
عند سماع هذا اللفظ انه ليس المراد به ان البيت مسكنه ومأواه بل يعلم
على البديهة ان المراد بهذه الاضافة تشريف البيت أو معنى سواه غير ما
وضع له لفظ البيت المضاف الى ربه وساكنه أليس كان اعتقاده انه على العرش
قرينة أفادته علما قطعيا بانه ما اريد بكون الكعبة بيته انه مأواه وان هذا
انما يوهم في حق من لم يسبق الى هذه العقيدة فكذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاطب بهذه الالفاظ جماعة سبقوا الى علم التقديس و
نفي التشبيه وانه منزه عن الجسمية وعوارضها وكان ذلك قرينة قطعية
مزيلة للايهام لا يبقى معه شك وان جاز ان يبقى لبعضهم تردد في تأويله

وتعيين المراد من جملة ما يحتمله اللفظ ويليق بجلال الله تعالى ❊ المثال الثاني اذا جرى لفقيه في كلامه لفظ الصورة بين يدي الصبي أو العامي فقال صورة هذه المسألة كذا او صورة الواقعة كذا ولقد صورت للمسألة صورة في غاية الحسن فربما توهم الصبي او العامي الذي لا يفهم معنى المسألة أن المسألة شيء له صورة وفي تلك الصورة أنف وفم وعين على ما عرفه و اشتهر عنده أما من عرف حقيقة المسألة وانها عبارة عن علوم مرتبة ترتيبا مخصوصا فهل يتصور ان يفهم عينا وانفا وفما كصورة الاجسام هيهات بل يكفيه معرفته بان المسألة منزهة عن الجسمية وعوارضها فكذلك معرفة نفي الجسمية عن الاله وتقدسه عنها تكون قرينة في قلب كل مستمع يفهم معنى الصورة في قوله خلق الله آدم على صورته ويتعجب العارف بتقديسه عن الجسمية ممن يتوهم لله تعالى الصورة الجسمية كما يتعجب ممن يتوهم للمسألة صورة جسمانية ❊ المثال الثالث اذا قال القائل بين يدي الصبي بغداد في يد الخليفة ربما توهم ان بغداد بين أصابعه وانه قد احتوى عليها براحته كما يحتوي على حجره ومدره وكذلك كل عامي لم يفهم المراد بلفظ بغداد اما من علم ان بغداد عبارة عن بلدة كبيرة هل يتصور ان يخطر له ذلك أو يتوهم وهل يتصور ان يعترض على قائله ويقول له لماذا قلت بغداد في يد الخليفة وهذا يوهم خلاف الحق ويفضي الى الجهل حتى يعتقد ان بغداد بين أصابعه بل يقال له يا سليم القلب هذا انما يوهم الجهل عند من لا يعرف حقيقة بغداد فأما من علمه بالضرورة يعلم انه ما اريد بهذه اليد العضو المشتمل على الكف والاصابع بل معنى آخر ولا يحتاج في فهمه الى قرينة سوى هذه المعرفة فكذلك جميع الالفاظ الموهمة في الاخبار يكفي في دفع ايهامها قرينة واحدة وهي معرفة الله وانه ليس بجسم وليس من جنس الاجسام وهذا مما

افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانه في اول بعثته قبل النطق بهذه الا
الالفاظ المثال الرابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسائه اطولكن
يدا اسرعكن لحاقا بي فكان بعض نسوته يتعرف الطول بالمساحة ووضع
اليد على اليد حتى ذكر لهن انه اراد بذلك السماحة في الجود دون الطول للعضو
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذه اللفظة مع قرينة افهم بها ارادة
الجود بالتعبير بطول اليد عنه فلما نقل اللفظ مجردا عن قرينته حصل الايهام
فهل كان لاحد ان يعترض على رسول صلى الله عليه وسلم في اطلاقه لفظا
جهل بعضهم معناه انما ذلك لانه اطلق اطلاقا مفهما في حق الحاضرين
مقرونا مثلا بذكر السخاوة والناقل قد ينقل اللفظ كما سمعه ولا ينقل القرينة
او كان بحيث لا يمكن نقلها او ظن انه لا حاجة الى نقلها وان من يسمع يفهمه
كما فهمه هو لما سمعه فربما لا يشعر ان فهمه انما كان بسبب القرينة فلذلك
يقتصر على نقل اللفظ فمثل هذه الاسباب بقيت الالفاظ مجردة عن
قرائنها فقصرت عن التفهيم مع ان قرينة معرفة التقديس بمجردها كافية
في نفي الايهام وان كانت ربما لا تكفي في تعيين المراد به فهذه الدقائق
لابد من التنبه لها المثال الخامس اذا قال القائل بين يدي الصبي و
من يقرب منه في درجته ممن لم يمارس الاحوال ولا عرف العادات في
المجالسات فلان دخل مجمعا وجلس فوق فلان ربما يتوهم السامع الجاهل
الغبي انه جلس على راسه او على مكان فوق راسه ومن عرف العادات وعلم
ان ما هو اقرب الى الصدر اعلى في الرتبة وان الفوق عبارة عن العلو
يفهم منه انه جلس بجنبه لا فوق راسه لكن جلس اقرب الى الصدر فالاعتراض
على من خاطب بهذا الكلام اهل المعرفة بالعادات من حيث انه يجهل
الصبيان او الاغبياء اعتراض باطل لا اصل له وامثلة ذلك كثيرة فقد

فحصت على القطع بهذه الامثلة ان هذه الالفاظ الصريحة انقلبت مفهوماتها
عن أوضاعها الصريحة بمجرد قرينة ورجعت تلك القرائن الى معان سابقة
ومقترنة فكذلك هذه الظواهر الموهمة انقلبت عن الايهام بسبب تلك
القرائن الكثيرة التى بعضها هى المعارف والواحدة منها معرفتهم انهم لم يؤمروا
بعبادة الاصنام وان من عبد جسما فقد عبد صنما كان الجسم صغيرا او
كبيرا قبيحا أو جميلا سافلا أو عاليا على الارض أو على العرش وكان نفى الجسمية
ونفى لوازمها معلوما لكافتهم على القطع باعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
المبالغة فى التنزيه بقوله ليس كمثله شئ وسورة الاخلاص وقوله ولا تجعلوا
لله أندادا وبالفاظ كثيرة لا حصر لها مع قرائن قاطعة لا يمكن حكايتها وعلم
ذلك علما لا ريب فيه وكان ذلك كافيا فى تعريفهم استحالة يد هى عضو
مركب من لحم وعظم وكذا فى سائر الظواهر لانها لا تدل الا على الجسمية وعوا
رضها لو اطلق على جسم واذا اطلق على غير الجسم علم ضرورة انه ما أريد
به ظاهره بل معنى آخر مما يجوز على الله تعالى وربما يتعين ذلك المعنى وربما
لا يتعين فبهذا ما يزيل الاشكال فان قيل فلم لم يذكرها بالفاظ ناصة عليها
بحيث لا يوهم ظاهرها جهلا ولا فى حق العامى والصبى قلنا لانه انما كلم الناس
بلغة العرب وليس فى لغة العرب الفاظ ناصة على تلك المعانى فكيف يكون
فى اللغة لها نصوص وواضع اللغة لم يفهم تلك المعانى فكيف وضع لها
النصوص بل هى معان ادركت بنور النبوة خاصة أو بنور العقل بعد طول
البحث وذلك أيضا فى بعض تلك الامور لا فى كلها فلما لم يكن لها عبارات
موضوعة كانت استعارة الالفاظ من موضوعات اللغة ضرورة كل ناطق
بتلك اللغة كما انا لا نستغنى عن ان نقول صورة هذه المسألة كذا تخالف صورة المسألة الاخرى وهى مستعارة من الصورة الجسمانية لكن

واضع اللغة لما لم يضع لهيئة المسألة وخصوص ترتيبها اسما نصا اما لانه لم
يفهم المسألة أو فهم لكن لم تحضره او حضرته لكن لم يضع لها نصا خاصا
اعتمادا على امكان الاستعارة أو لانه علم انه عاجز عن ان يضع لكل معنى
لفظا خاصا ناصا لان المعاني غير متناهية العدد والموضوعات بالقطع يجب
ان تتناهى فتبقى معان لا نهاية لها يجب ان يستعار اسمها من الموضع فاكتفى
بوضع البعض وسائر اللغات أشد قصورا من لغة العرب فهذا وامثاله
من الضرورة يدعو الى الاستعارة لمن يتكلم بلغة قوم اذ لا يمكنه ان يخرج
عن لغتهم كيف ونحن نجوز الاستعارة حيث لا ضرورة اعتمادا على القرائن
فانا لا نفرق بين ان يقول القائل جلس زيد فوق عمرو وبين ان يقول
جلس اقرب منه الى الصدر وان بغداد في ولاية الخليفة او في يده اذ كان
الكلام مع العقلاء وليس في الامكان حفظ الالفاظ عن افهام الصبيان
والجهال فالاشتغال بالاحتراز عن ذلك ركاكة في الكلام وسخافة في العقل
وثقل في اللفظ فان قيل فلم لم يكشف الغطاء عن المراد باطلاق لفظ الاله
ولم يقل انه موجود ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو داخل العالم ولا
خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا هو في مكان ولا هو في جهة بل الجهات
كلها خالية عنه فهذا هو الحق عند قوم والافصاح عنه كذلك كما افصح عنه
المتكلمون ممكن ولم يكن في عبارته صلى الله عليه وسلم قصور ولا في رغبته
في كشف الحق فتور ولا في معرفته نقصان قلنا من رأى هذا حقيقة الحق
اعتذر بان هذا لو ذكره لنفر الناس عن قبوله ولبادروا بالانكار وقالوا
هذا عين المحال ووقعوا في التعطيل ولا خير في المبالغة في تنزيه ينتج
التعطيل في حق الكافة الا الاقلين وقد بعث رسول الله صلى الله عليه و
سلم داعيا للخلق الى سعادة الآخرة رحمة للعالمين كيف ينطق بما فيه هلاك

الاكثرين بل القرآن لا يكلم الناس الا على قدر عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم
من حدث الناس بحديث لا يفهمونه كان فتنة على بعضهم او لفظا هذا معناه
فان قيل ان كان في المبالغة في التنزيه خوف التعطيل بالاضافة الى البعض ففي
استعمال الالفاظ الموهمة خوف التشبيه بالاضافة الى البعض قلنا بينهما فرق
من وجهين احدهما ان ذلك يدعو الى التعطيل في حق الاكثرين وهذا يدعو
الى التشبيه في حق الاقلين واهون الضررين اولى بالاحتمال واعم الضررين
اولى بالاجتناب الثاني ان علاج وهم التشبيه اسهل من علاج التعطيل
اذ يكفي ان يقال مع هذه الظواهر ليس كمثله شيء وانه ليس بجسم ولا مثل
الاجسام واما اثبات موجود في الاعتقاد على ما ذكرناه من المبالغة في التنزيه
شديد جدا بل لا يقبله واحد من الالف لا سيما الامة الامية العربية فان قيل
فعجز الناس عن الفهم هل يمهد عذر الانبياء في ان يثبتوا في عقائدهم امورا
على خلاف ما هي عليها ليثبت في اعتقادهم اصل الالهية حتى توهموا واعتقدوا
مثلا ان الله مستقر على العرش وانه في السماء وانه فوقهم فوقية المكان قلنا معاذ
الله ان نظن ذلك او نتوهم بنبي صادق ان يصف الله بغير ما هو متصف به
وان يلقي ذلك في اعتقاد الخلق فانما تأثير قصور الخلق في ان يذكر لهم ما
يطيقون فهمه وما لا يفهمونه فيكف عنه فلا يعرفهم بل يمسك عنهم وانما
ينطق بمسمع من يطيقه ويفهمه ويحسن في ذلك علاج عجز الخلق وقصورهم ولا
ضرورة في تفهيمهم خلاف الحق قصدا لا سيما في صفات الله نعم به ضرورة في
استعمال الالفاظ مستعارة بما يغلط الاغبياء في فهمها وذلك لقصور اللغات
وضرورة المحاورات فاما تفهيمهم خلاف الحق قصدا الى التجهيل فمحال
سواء فرض فيه مصلحة او لم تفرض فان قيل قد جهل اهل التشبيه جهلا
يستند الى الفاظه وعلم ان الفاظه في الظواهر تفضي الى جهلهم فهما جاء بلفظ

بجهل ملبس فرضي به لم يفترق الحال بين ان يكون مجردا قصده الى التجهيل و
بين ان لا يقصد التجهيل مهما حصل التجهيل وهو عالم به وراض قلنا الاظهر
أن جهل أهل التشبيه حصل بالقائل بل بتقصيرهم في كسب معرفة التقديس مع
تقديمه على النظر في الالفاظ ولو حصلوا تلك المعرفة أولا وقدموها لما جهلوها
كما ان من حصل علم التقديس لم يجهل عند سماعه صورة المسألة وانما
الواجب عليهم تحصيل هذا العلم ثم مراجعة العلماء اذا اشكلوا في ذلك ثم كف
النفس عن التأويل والزامها التقديس اذا رسم اهل العلماء فاذا لم يفعلوا
جهلوا وعلم الشارع بان الناس في طباعهم الكسل والتقصير والفضول
بالخوض فيما ليس من شأنهم ليس رضاه بذلك ولا سعيا في تحصيل الجهل
لكنه رضاء بقضاء الله وقدره في قسمته حيث قال وتمت كلمة ربك لأملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ولا يزالون مختلفين الا
من رحم ربك ولذلك خلقهم فهذا هو القدر الالهي في فطرة الخلق ولا قدرة
للانبياء في تغيير سنته التي لا تبديل لها **فصل** لعلك تقول الكف عن السؤال والامساك
عن الجواب من أين ينفع قد شاع في البلاد هذه الاختلافات وظهرت التعصبات فكيف
سبيل الجواب اذا سئل عن هذه المسائل قلنا الجواب ما قاله مالك رض في الاستواء
اذ قال الاستواء معلوم الحديث فيذكر هذا الجواب في كل مسئلة سئل عنها العوام
لينحسم سبيل الفتنة فان قيل فاذا سئل عن الفوق واليد والاصبع فبم يجيب قلنا
الجواب ان يقال الحق فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الله تعالى حق قد صدق حيث قال
الرحمن على العرش استوى فيعلم انه قطعا انه ما اراد الجلوس والاستقرار الذي هو صفة
الاجسام ولا ندري ما الذي أراده ولم نكلف معرفته وصدق حيث قال وهو القاهر فوق عباده
وفوقية المكان محال فانه كان قبل المكان فهو الآن كما كان وما اراده فلسنا نعرفه

وليس علينا ولا عليك أيها السائل معرفته فكذلك نقول لا يجوز اثبات اليد
والاصبع مطلقا بل يجوز النطق بما نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الوجه الذي نطق به من غير زيادة ونقصان وجمع وتفريق وتأويل و
تفصيل كما سبق فنقول لصدق حيث قال خمر طينة آدم بيده وحيث قال
قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن فنؤمن بذلك ولا نزيد و
لا ننقص وننقله كما روى ونقطع بنفي العضو المركب من اللحم والعصب وإذا
قيل القرآن قديم أو مخلوق قلنا هو غير مخلوق لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن
كلام الله غير مخلوق فان قال الحروف قديمة أم لا قلنا الجواب في هذه المسألة
لم ينكر مع الصحابة فالخوض فيها بدعة فلا تسألوا عنها فان ابتلى الانسان
بهم في بلدة غلبت فيها الحشوية وكفروا من لا يقول بقدم الحروف فيقول
المضطر الى الجواب ان عنيت بالحروف نفس القرآن فالقرآن قديم وأن أريت
بها غير القرآن وصفات الله تعالى فما سوى الله وصفاته محدث ولا يزيد عليه
لان تفهيم العوام حقيقة هذه المسألة عسير جدا فان قالوا قد قال النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من القرآن فله كذا فاثبت الحروف للقرآن
ووصف القرآن بانه غير مخلوق فلزم منه ان الحروف قديمة قلنا لا نزيد على ما
قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ان القرآن غير مخلوق وهذه مسألة
وان كان للقرآن حروف هي مسألة أخرى واما ان الحروف قديمة فهي مسألة
ثالثة ولم يرد عليه فلا نقول به ولا نزيد على ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم
فان زعموا انه يلزم من المسألتين السابقتين هذه المسألة قلنا هذا قياس
وتفريع وقد بينا أن لا سبيل الى القياس والتفريع بل يجب الاقتصار على ما
ورد من غير تفريق وكذلك اذا قالوا عربية القرآن قديمة لانه قال القرآن
قديم وقال انزلناه قرآنا عربيا فالعربي قديم فنقول اما أن القرآن عربي

فحق اذ نطق به القرآن واما ان القرآن قديم فحق اذ نطق به الرسول صلى الله
عليه وسلم واما ان عربية القرآن قديمة فهي مسألة ثالثة لم يرد فيها انها
قديمة فلا يلزم القول بها فعلى هذا الوجه يلجم العوام والحشوية عن التصرف في
ونزجرهم عن القياس والقول باللوازم بل نزيد في التضييق على هذا ونقول
اذا قال القرآن كلام الله غير مخلوق فهذا لا يرخص في ان يقول القرآن قديم
ما لم يرد لفظ القديم اذ فرق بين غير المخلوق والقديم اذ يقال كلام فلان
غير مخلوق اى غير موضوع وقد يقال المخلوق بمعنى المختلق فلفظ غير
مخلوق يتطرق اليه هذا ولا يتطرق الى لفظ القديم فبينهما فرق ونحن
نعتقد قدم القرآن لا بمجرد هذا اللفظ فان هذا اللفظ لا ينبغي ان يحرف
ويبدل ويغير ويصرف بل يلزم ان يعتقد انه حق بالمعنى الذي اراده وكل
من وصف القرآن بانه مخلوق من غير نقل نص فيه مقصود فقد ابدع و
زاد ومال عن مذهب السلف وحاد **فصل** فان قيل من المسائل
المعروفة قولهم ان الايمان قديم فاذا سئلنا عنه فبم نجيب قلنا ان ملكنا
زمام الامر واستولينا على السائل منعناه عن هذا الكلام السخيف الذي
لا جدوى له وقلنا ان هذا بدعة وان كنا مغلوبين في بلادهم فنجيب
ونقول ما الذي اردت بالايمان ان اردت شيئا من معارف الخلق و
صفاتهم فجميع صفات الخلق مخلوقة وان اردت به شيئا من القرآن او من
صفات الله تعالى فجميع صفات الله تعالى قديمة وان اردت ما ليس صفة
للخلق ولا صفة الخالق فهو غير مفهوم ولا متصور وما لا يفهم ولا يتصور
ذاته كيف يفهم حكمه في القدم والحدوث والاصل زجر السائل والسكوت
عن الجواب هذا اصفو مقصود مذهب السلف ولا يعدل عنه الا
بضرورة وسبيل المضطر ما ذكرنا فان وجدنا ذكيا مستعدا لفهم الحقائق

كشفنا الغطاء عن المسألة وخلصناه عن الاشكال فى القرآن وقلنا اعلم ان لكل
شئ له فى الوجود اربع مراتب وجود فى الاعيان ووجود فى الاذهان
ووجود فى اللسان ووجود فى البياض المكتوب عليه كالنار مثلا فان
لها وجودا فى التنور ووجودا فى الخيال والذهن واعنى بهذا الوجود
العلم بنفس النار وحقيقتها ولها وجود فى اللسان وهى الكلمة الدالة عليه
اعنى لفظ النار ولها وجود فى البياض المكتوب عليه بالرقوم والاحراق صفة
خاصة للنار كالقدم للقرآن ولكلام الله تعالى والمحرق من هذه الجملة الذى
فى التنور دون الذى فى الاذهان وفى اللسان وعلى البياض اذ لو كان المحرق
فى البياض واللسان لاحترق ولكن لو قيل لنا النار محرقة قلنا نعم فان قيل لنا
كلمة النار محرقة قلنا لا فان قيل حروف النار محرقة قلنا لا فان قيل مرقوم هذه
الحروف على البياض محرقة قلنا لا فان قيل المذكور بكلمة النار والمكتوب
بكلمة النار يحرق قلنا نعم لان المذكور والمكتوب بهذه الكلمة ما فى التنور
وما فى التنور محرق فكذلك القدم وصف كلام الله تعالى كالاحراق وصف
النار وما يطلق عليه اسم القرآن وجوده على اربع مراتب اولها وهى الاصل
وجوده قائما بذات الله تعالى يضاهى وجود النار فى التنور ولله المثل
الاعلى ولكن لابد من هذه الامثلة فى تفهيم العجزة والقدم وصف خاص
لهذا الوجود والثانية وجوده العلمى فى اذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق
بلساننا ثم وجوده فى لساننا بتقطيع اصواتنا ثم وجوده فى الاوراق بالكتب
فاذا سئلنا عما فى اذهاننا من علم القرآن قبل النطق به قلنا علمنا صفتنا وهى
مخلوقة لكن المعلوم به قديم كما ان علمنا بالنار وثبوت صورتها فى خيالنا
غير محرق لكن المعلوم به محرق وان سئلنا عن صوتنا وحركة لساننا ونطقنا قلنا
ذلك صفة لساننا فلساننا حادث وصفته توجد بعده وما هو بعد الحادث

حادث بالقطع لكن منطوقنا ومذكورنا ومقروءنا ومتلونا بهذه الأصوات الحادثة قديم كما ان ذكرنا حروف النار بلساننا كان المذكور بهذه الحروف محرقا واصواتنا وتقطيع اصواتنا غير محرق الا ان يقول قائل حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا ان كان كذلك فحروف النار محرقة وحروف القرآن ان كان عبارة عن نفس المقروء فهي قديمة وكذلك الخطوط برقوم النار والمكتوب به محرق لان المكتوب هو نفس النار اما الرقم الذي هو صورة النار غير محرق فانه في الاوراق من غير احراق واحتراق فهذه الاربع درجات في الوجود تشتبه على العوام ولا يمكنهم ادراك تفاصيلها وخاصة كل واحدة منهن فلذلك لا نخوض بهم فيها الا لجعلنا بحقيقة هذه الامور ولكنه تفاصيلها ان النار من حيث انها في التنور توصف بانها محرقة وخامدة ومشتعلة ومن حيث انها في اللسان يوصف بانه عجمي وتركي وعربي وكثير الحروف وقليلها وما في التنور لا ينقسم الى العجمي والتركي والعربي وما في اللسان لا يوصف بالخمود والاشتعال واذا كان مكتوبا على البياض يوصف بانه احمر واخضر واسود وانه بقلم المحقق او الثلث والرقاع او قلم النسخ وهو في اللسان لا يمكن ان يوصف بذلك واسم النار يطلق على ما في التنور وما في القلب وما في اللسان وما على القرطاس لكن باشتراك الاسم فاطلق على ما في التنور حقيقة وعلى ما في الذهن من العلم لا بالحقيقة لكن بمعنى انه صورة محاكية النار الحقيقي كما ان ما يرى في المرآة يسمى انسانا ونارا لا بالحقيقة ولكن بمعنى انها صورة حاكية النار الحقيقي والانسان وما في اللسان من الكلمة يسمى باسمه بمعنى ثالث وهو انه دلالة دالة على ما في الذهن وهذا يختلف بالاصطلاحات والاول والثاني لا اختلاف فيهما وما في القرطاس يسمى نارا بمعنى رابع وهو انها رقوم تدل بالاصطلاح على ما في

اللسان ومهما فهم اشتراك اسم القرآن والنار وكل شئ من هذه الامور
الاربعة فاذا ورد في الخبر ان القرآن في قلب العبد وانه في المصحف وانه في
لسان القارئ وانه صفة ذات الله تعالى صدق بالجميع وفهم معنى الجميع
ولم يتناقض عند الاذكياء وصدق بالجميع مع الاحاطة بحقيقة المراد وهذه
امور جلية دقيقة لا اجلى منها عند الفطن الذكي ولا ادق واغمض منها
عند البليد الغبي فحق البليد ان يمنع من الخوض فيها ويقال له قل القرآن غير
مخلوق واسكت ولا تزد عليه ولا تنقص ولا تفتش عنه ولا تبحث واما
الذكي فيروح عن غمة هذا الاشكال في لحظة ويوصى بان لا يحدث العامي
بحيث لا يكلفه ما ليس في طاقته وهكذا جميع مواضع الاشكالات في الظواهر
فيها حقائق جلية لارباب البصائر ملتبسة على العميان من العوام فلا ينبغي
ان يظن باكابر السلف عجزهم عن معرفة هذه الحقيقة وان لم يحرروا الفاظها
بتحرير صنعة ولكنهم عرفوه وعرفوا عجز العوام فسكتوا عنهم واسكتوهم
وذلك عين الحق والصواب ولا اعني باكابر السلف الاكابر من حيث الجاه
والاشتهار ولكن من حيث الغوص على المعاني والاطلاع على الاسرار و
عند هذا ربما انقلب الامر في حق العوام واعتقدوا في الاشهر انه الاكبر
وذلك سبب آخر من اسباب الضلال **فصل** فان قال قائل العامي
اذا منع من البحث والنظر لم يعرف الدليل ومن لم يعرف الدليل كان
جاهلا بالمدلول وقد امر الله تعالى كافة عباده بمعرفته اي بالايمان به
والتصديق بوجوده اولا وبتقدسه عن سمات الحوادث ومشابهته
غيره ثانيا وبوحدانيته ثالثا وبصفاته من العلم والقدرة ونفوذ المشيئة
وغيرها رابعا وهذه الامور ليست ضرورية فهي اذا مطلوبة وكل علم
مطلوب فلا سبيل الى اقتناصه وتحصيله الا بشبكة الادلة والنظر في الادلة

والتفطن لوجه دلالتها على المطلوب وكيفية انتاجها وذلك لا يتم الا بمعرفة
شروط البراهين وكيفية ترتيب المقدمات واستنتاج النتائج ويجر ذلك
شيئا فشيئا الى تمام علم البحث واستيفاء علم الكلام الى آخر النظر في المعقولات
وكذلك يجب على العامي أن يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل
ما جاء به وصدقه ليس بضروري بل هو بشر كسائر الخلق فلا بد من دليل
يميزه عن غيره ممن تحدى بالنبوة كاذبا ولا يمكن ذلك الا بالنظر في المعجزة
ومعرفة حقيقة المعجزة وشروطها الى آخر النظر في النبوات وهو لب علم
الكلام قلنا الواجب على الخلق الايمان بهذه الامور والايمان عبارة
عن تصديق جازم لا تردد فيه ولا يشعر صاحبه بامكان وقوع الخطأ فيه
وهذا التصديق الجازم يحصل على ست مراتب الاولى وهو أقصاها ما يحصل
بالبرهان المستقصى المستوفى شروطه المحرر أصوله ومقدماته درجة درجة
وكلمة كلمة حتى لا يبقى مجال احتمال وتمكن التباس وذلك هو الغاية القصوى
وربما يتفق ذلك في كل عصر لواحد او اثنين ممن ينتهي الى تلك الرتبة
وقد يخلو العصر عنه ولو كانت النجاة مقصورة على مثل تلك المعرفة لقلت
النجاة وقل الناجون الثانية أن يحصل بالادلة الوهمية الكلامية المبنية على
أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة انكارها و
نفرة النفوس عن ابداء المراء فيها وهذا الجنس أيضا يفيد في بعض الأمور
وفي حق بعض الناس تصديقا جازما بحيث لا يشعر صاحبه بامكان خلافه
أصلا الثالثة أن يحصل التصديق بالادلة الخطابية أعني القدر الذي جرت
العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات وذلك
يفيد في حق الاكثرين تصديقا ببادي الرأي وسابق الفهم ان لم يكن
الباطن مشحونا بالتعصب وبرسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل ولم

يكن المستمع مشغوفا بتكلف المماراة والتشكيك ومتشبها بتحذلق المجادلين في العقائد أكثر أدلة القرآن من هذا الجنس فمن الدليل الظاهر المفيد للتصديق قولهم لا ينتظم تدبير المنزل بمدبرين فلو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فكل قلب باق على الفطرة غير مشوش بمماراة المجادلين يسبق من هذا الدليل الى فهمه تصديق جازم بوحدانية الخالق لكن لو شوشه مجادل وقال لم يبعد أن يكون العالم بين الهين يتوافقان على التدبير ولا يختلفان فاسماعه هذا القدر يشوش عليه تصديقه ثم ربما يعسر حل هذا السؤال ودفعه في حق بعض الافهام القاصرة فيستولي الشك ويتعذر الرفع وكذلك من الجلي ان من قدر على الخلق فهو على الاعادة أقدر كما قال قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فهذا لا يسمعه أحد من العوام ذكي أو غبي الا ويبادر الى التصديق ويقول نعم ليست الاعادة بأعسر من الابتداء بل هي أهون ويمكن أن يشوش عليه بسؤال ربما يعسر عليه فهم جوابه والدليل المستوفى هو الذي يفيد التصديق بعد تمام الاسئلة وجوابها بحيث لا يبقى للسؤال مجال والتصديق يحصل قبل ذلك الرابعة التصديق لمجرد السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق عليه فان من حسن اعتقاده في أبيه وأستاذه أو في رجل من الافاضل المشهورين قد يخبره عن شيء كموت شخص أو قدوم غائب أو غيره فيسبق اليه اعتقاد جازم وتصديق بالخبر عنه بحيث لا يبقى لغيره مجال في قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه فالمجرب بالصدق والورع والتقوى مثل الصديق رضي الله عنه اذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فكم من مصدق به جزما وقابل له قبولا مطلقا لا مستند لقوله الا حسن اعتقاده فيه فمثله اذا لقن العامي اعتقادا وقال له اعلم ان خالق العالم واحد وانه عالم قادر وانه

بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا يامر الى التصديق ولم يبق فيه ريب
ولا شك في قوله وكذلك اعتقاد الصبيان في آبائهم ومعلميهم فلا جرم
يسمعون الاعتقادات ويصدقون بها ويستمرون عليها من غير حاجة الى
دليل وحجة الرتبة الخامسة التصديق به الذي يسبق اليه القلب عند سماع
الشيء مع قرائن أحوال لا تفيد القطع عند المحقق ولكن يلقي في قلوب العوام
اعتقادا جازما كما اذا سمع بالتواتر مرض رئيس البلد ثم ارتفع صراخ وعويل
من داره ثم سمع من أحد غلمانه انه قد مات اعتقد العامي جزما انه مات
وبنى عليه تدبيره ولا يخطر بباله ان الغلام ربما قال ذلك عن ارجاف سمعه
وان الصراخ والعويل لعله عن غشية أو شدة مرض أو سبب آخر لكن
هذه خواطر بعيدة لا تخطر للعوام فتنطبع في قلوبهم الاعتقادات الجازمة
وكم من اعرابي نظر الى أسارير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى حسن كلامه
ولطف شمائله وأخلاقه فآمن به وصدقه جزما لم يختلجه ريب من غير ان
يطالب بمعجزة يقيمها ويذكر وجه دلالتها الرتبة السادسة ان يسمع القول
فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر الى التصديق لمجرد موافقته لطبعه لا من حسن
اعتقاد في قائله ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبة ما في طباعه فالحريص
على موت عدوه وقتله وعزله يصدق بجميع ذلك بادنى ارجاف ويستمر على
اعتقاده جازما ولو أخبر بذلك في حق صديقه أو بشيء يخالف شهوته وهواه
توقف فيه أو اباه بكل الآباء وهذه أضعف التصديقات وأدنى الدرجات
لان ما قبله استند الى دليل ما وان كان ضعيفا من قرينة أو حسن اعتقاد في
المخبر أو نوع من ذلك فهي أمارات يظنها العامي أدلة فتعمل في حقه عمل
الادلة فاذا عرفت مراتب التصديق فاعلم ان مستند ايمان العوام هذه
الاسباب واعلى الدرجات في حقهم أدلة القرآن وما يجري مجراه مما يحرك

الطلب الى التصديق ولا ينبغي أن يجاوز بالعامي الى ما وراء أدلة القرآن وما
في معناه من الجليات المسكنة للقلوب المستجرة لها الى الطمأنينة والتصديق
ما وراء ذلك ليس على قدر طاقته وأكثر الناس آمنوا في الصبا وكان سبب
تصديقهم مجرد التقليد للآباء والمعلمين لحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على
أنفسهم وثناء غيرهم عليهم وتشديدهم النكير بين أيديهم على مخالفيهم وحكايا
أنواع النكال النازل بمن لا يعتقد اعتقادهم وقولهم ان فلانا اليهودي في
قبره مسخ كلبا وفلان الرافضي انقلب خنزيرا وحكايات منامات وأحوال
من هذا الجنس تنغرس في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل الى ضده حتى
ينزع الشك بالكلية عن قلبه فالتعلم في الصغر كالنقش في الحجر ثم يقع نشوؤه
عليه ولا يزال يؤكد ذلك في نفسه فاذا بلغ استمر على اعتقاده الجازم وتصديقه
المحكم الذي لا يخالجه فيه ريب ولذلك ترى أولاد النصارى والروافض و
المجوس والمسلمين كلهم لا يبلغون الا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الباطل
والحق جازمة لو قطعوا اربا اربا لما رجعوا عنها وهم قط لم يسمعوا عليه دليلا لا
حقيقيا ولا رسميا وكذا ترى العبيد والاماء يسبون الشرك ولا يعرفون
الاسلام فاذا وقعوا في أسر المسلمين وصحبوهم مدة ورأوا ميلهم الى
الاسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا بأخلاقهم كل ذلك لمجرد
التقليد والتشبه بالتابعين والطباع مجبولة على التشبه لا سيما طباع الصبيان
وأهل الشباب فبهذا يعرف أن التصديق الجازم غير موقوف على البحث
وتحرير الأدلة. **فصل** لعلك تقول لا أنكر حصول التصديق الجازم في قلوب
العوام بهذه الأسباب ولكن ليس ذلك من المعرفة في شيء وقد كلف الناس
المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل الذي لا يتميز فيه الباطل
عن الحق فالجواب ان هذا غلط ممن ذهب اليه بل سعادة الخلق في أن يعتقدوا

الشيء على ما هو عليه اعتقادا جازما انتقش قلوبهم بالصورة الموافقة لحقيقة
الحق حتى اذا ماتوا وانكشف لهم الغطاء فشاهدوا الامور على ما اعتقدوها
لم يفتضحوا ولم يحترقوا بنار الخزي والخجلة ولا بنار جهنم ثانيا وصورة
الحق اذا انتقش بما قبله فلا نظر الى السبب المفيد له أهو دليل حقيقي أو رسمي
او اقناعي أو قبول بحسن الاعتقاد في قائله أو قبول لمجرد التقليد من غير
سبب فليس المطلوب الدليل المفيد بل الفائدة وهي حقيقة الحق على ما هي
عليه فمن اعتقد حقيقة الحق في الله وفي صفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر
على ما هو عليه فهو سعيد وان لم يكن ذلك بدليل محرر كلامي ولم يكلف الله
عباده الا ذلك وذلك معلوم على القطع بجملة اخبار متواترة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في موارد الاعراب عليه وعرضه الايمان عليهم وقبولهم
ذلك وانصرافهم الى رعاية الابل والمواشي من غير تكليفهم اياهم التفكر في
المعجزة ووجه دلالته والتفكر في حدوث العالم واثبات الصانع وفي أدلة
الوحدانية وسائر الصفات بل الاكثر من اجلاف العرب لو كلفوا ذلك
لم يفهموه ولم يدركوه بعد طول المدة بل كان الواحد منهم يحلفه و
يقول والله آلله أرسلك رسولا فيقول والله الله أرسلني رسولا وكان
يصدقه بيمينه وينصرف ويقول الآخر اذا قدم عليه ونظر اليه والله ما هذا
وجه كذاب وامثال ذلك مما لا يحصى بل كان يسلم في غزوة واحدة في
عصره وعصر أصحابه آلاف لا يفهم الاكثرون منهم أدلة الكلام ومن كان
يفهمه يحتاج الى أن يترك صناعته ويختلف الى معلم مدة مديدة ولم
ينقل قط شيء من ذلك فعلم علما ضروريا ان الله تعالى لم يكلف الخالق
الا الايمان والتصديق الجازم بما قاله كيف ما حصل التصديق نعم لا
ينكر ان للعارف درجة على المقلد ولكن المقلد في الحق مؤمن كما ان العارف

مؤمن

مؤمن فان قلت فبم يميّز المقلد بين نفسه وبين اليهودى المقلد قلنا المقلد
لا يعرف التقليد ولا يعرف أنه مقلد بل يعتقد فى نفسه أنه محق عارف
ولا يشك فى معتقده ولا يحتاج مع نفسه الى التمييز لقطعه بان خصمه
مبطل وهو محق ولعله أيضا يستظهر بقرائن وأدلة ظاهرة وان كانت غير
قوية يرى نفسه مخصوصا بها ومميزا بسببها عن خصومه فان كان اليهودى
يعتقد فى نفسه مثل ذلك فلا يشوش ذلك على المحق اعتقاده كما ان العارف
الناظر يزعم انه يميز نفسه عن اليهودى بالدليل واليهودى المتكلم الناظر أيضا
يزعم انه مميز عنه بالدليل ودعواه ذلك لا يشكك الناظر العارف وكذلك لا
يشكك المقلد القاطع ويكفيه فى الايمان ان لا يشكك فى اعتقاده معارضة
المبطل كلامه بكلامه فهل رأيت عاميا قط قد اغتم وحزن من حيث تعسر
عليه الفرق بين تقليده وتقليد اليهودى بل لا يخطر ذلك ببال العوام وان
خطر ببالهم وشوفهوا به ضحكوا من قائله وقالوا ما هذا الهذيانات
وكان به بين الحق والباطل مساواة حتى يحتاج الى الفرق فارق تبيينا انه
على الباطل وانى على الحق وانا متيقن لذلك غير شاك فيه فكيف اطلب
الفرق حيث يكون الفرق معلوما قطعا من غير طلب فهذه حالة
المقلدين الموقنين وهذا أشكال لا يقع لليهودى المبطل لقطعه بمذهبه
مع نفسه فكيف يقع لسنى المقلد الذى وافق اعتقاده ما هو الحق عند
الله تعالى فظهر بهذا على القطع ان اعتقادهم جازمة وان الشرع لم
يكلفهم الا ذلك فان قيل فان فرضنا عاميا بجادلا لجوجا ليس يقلد وليس
يقنعه أدلة القرآن ولا الأقاويل الجلية المفرقة السابقة الى الأفهام فما
ذا نصنع به قلنا هذا مريض مال طبعه عن صحة الفطرة وسلامة
الخلقة الاصلية فينظر فى شمائله فان وجدنا اللجاج والجدل

هذا كتاب المنقذ من الض

بسم الله الرحمن الرحيم

م لله الذى يفتتح بحمده كل رسالة ومقالة والصلاة على محمد المصطفى
ب النبوة والرسالة وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة **أما**
بعد فقد سألتنى أيها الاخ فى الدين أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها
وغائلة المذاهب وأغوارها وأحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق
من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استجرأت عليه
من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار وما استفدته
أولا من علم الكلام وما اجتويته ثانيا من طرق اهل التعليم القاصرين لدرك
الحق على تقليد الامام وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف وما ارتضيته
آخرا من طريقة التصوف وما انجلى لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل

فالبا على طبعه لم نجادله ولطعرنا وجه الأرض عنه ان كان يجاحدنا في
أصل من أصول الإيمان وان توسمنا فيه بالفراسة مخائل الرشد والقبول
ان جاوزنا به من الكلام الظاهر الى تدقيق في الأدلة عالجناه بما قدرنا
عليه من ذلك وداوينا بالجدال المر والبرهان الحلو وبالجملة فينبغي ان
نجادله بالأحسن كما أمر الله تعالى ورخصتنا في القدر من المداواة لا تدل
على فتح باب الكلام مع الكافة فان الأدوية تستعمل في حق المرضى وهم
الأقلون وما يعالج به المريض بحكم الضرورة يجب ان يوقى عنه
الصحيح والفطرة الصحيحة الأصلية معدة لقبول الإيمان دون
المجادلة وتحرير حقائق الأدلة وليس الضرر باستعمال الأدوية
مع الأصحاء باقل من الضرر في اهمال المداواة مع
المرضى فليوضع كل شيء موضعه كما أمر الله تعالى
نبيه حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي أحسن والمدعو
بالحكمة الى الحق
قوم و
بالموعظة الحسنة قوم آخرون وبالمجادلة
الحسنة قوم آخرون على ما فصلناه
جميعها في كتاب القسطاس المستقيم
فلا نطول باعادته

تم

هذا كتاب المنقذ من الضلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يفتتح بحمده كل رسالة ومقالة والصلاة على محمد المصطفى
صاحب النبوة والرسالة وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة **أما
بعد** فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها
وغائلة المذاهب وأغوارها وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق
من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استجرأت عليه
من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار وما استفدته
أولا من علم الكلام وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك
الحق على تقليد الإمام وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف وما ارتضيته
آخرا من طريقة التصوف وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل

الخلق من لباب الحق وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعاني
الى معاودتي بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت لاجابتك الى مطلبك
بعد الوقوف على صدق رغبتك وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه ومستوفقا
منه وملتجئا اليه اعلموا احسن الله تعالى ارشادكم والان للحق قيادكم أن
اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف الائمة في المذاهب على كثرة
الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون و
كل فريق يزعم أنه الناجي وكل حزب بما لديهم فرحون وهو الذي وعدنا به
سيد المرسلين صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق حيث قال ستفترق
أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة فقد كاد ما وعد أن يكون ولم
أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن
وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته
خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على
كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار
مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا أغادر
باطنيا الا وأحب أن اطلع على بطانته ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل
ظهارته ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما الا وأجتهد
في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر
صفوته ولا متعبدا الا وأترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ولا زنديقا
معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته وقد كان
التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري
غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي حتى انحلت عني
رابطة التقليد وانكسرت علي العقائد الموروثة على قرب عهد بسن الصبا



اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشو الا على التنصر وصبيان اليهود لا
نشو لهم الا على التهود وصبيان المسلمين لا نشو لهم الا على الاسلام وسمعت
الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كل مولود يولد
على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فتحرك باطنى الى طلب
حقيقة الفطرة الاصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين
والتمييز بين هذه التقليدات واوائلها تلقينات وفى تمييز الحق منها عن
الباطل اختلافات فقلت فى نفسى أولا انما مطلوبى العلم بحقائق الامور
فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هى فظهر لى ان العلم اليقينى هو الذى ينكشف
فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا
يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغى ان يكون مقارنا
لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا
ثعبانا لم يورث ذلك شكا وانكارا فانى اذا علمت أن العشرة اكثر من
الثلاثة فلو قال لى قائل لا بل الثلاثة اكثر بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا
وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه فى معرفتى ولم يحصل لى منه الا
التعجب من كيفية قدرته عليه فاما الشك فيما علمته فلا ثم علمت ان كل ما
لا أعلمه على هذا الوجه ولا اتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به
ولا أمان معه وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقينى **القول فى مداخل
السفسطة وجحد العلوم** ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى
عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة الا فى الحسيات والضروريات فقلت
الآن بعد حصول اليأس لا مطمع فى اقتباس المشكلات الا من الجليات وهى
الحسيات والضروريات فلا بد من احكامها اولا لاتيقن أن ثقتى بالمحسوسات
وأمانى من الغلط فى الضروريات من جنس أمانى الذى كان من قبل فى

التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان محقق لا
غلط فيه ولا غاية له فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات و
أنظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح
نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضا وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول
من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل فتراه
واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف
أنه متحرك وانه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة
وقوف وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم الأدلة الهندسية
تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها
حاكم الحس بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل إلى مدافعته
فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي
من الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة والنفي والاثبات لا يجتمعان في
الشيء الواحد والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما واجبا
محالا فقالت المحسوسات بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات
وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر
على تصديقي فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه
كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلي ذلك الادراك لا يدل
على استحالته فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت اشكالها بالمنام
وقالت أما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتخيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا و
استقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع
متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك
بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة

تكون

تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالاضافة
اليها فاذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات
لا حاصل لها ولعل تلك الحالة ما يدعيها الصوفية أنها حالتهم اذ يزعمون انهم
يشاهدون في أحوالهم التي اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالا
لا توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت اذ قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فلعل الحياة الدنيا نوم بالاضافة
الى الآخرة فاذا مات ظهرت له الاشياء على خلاف ما شاهده الآن ويقال له عند
ذلك فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فلما خطرت لي هذه الخواطر
انقدحت في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الا
بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الاولية فاذا لم تكن مسلمة
لم يمكن ترتيب الدليل فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنا فيهما على
مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله تعالى من ذلك
المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية
مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل
بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف فمن
ظن أن الكشف موقوف على الادلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة ولما
سئل رسول الله عليه السلام عن الشرح ومعناه في قوله تعالى فمن يرد الله أن
يهديه يشرح صدره للاسلام فقال هو نور يقذفه الله تعالى في القلب
فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود وهو
الذي قال عليه السلام ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود
الالهي في بعض الاحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام ان لربكم في ايام

دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال
الجد في الطلب حتى ينتهي الى طلب ما لا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة
فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن طلب ما لا يطلب فلا يتهم
بالتقصير في طلب ما يطلب

القول في اصناف الطالبين

ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده انحصرت اصناف الطالبين
عندي في اربع فرق المتكلمون وهم يدعون أنهم اهل الرأي والنظر والباطنية
وهم يزعمون انهم اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم
والفلاسفة وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان والصوفية وهم يدعون
أنهم خواص الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة فقلت في نفسي الحق لا يعدو
عن هذه الاصناف الاربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق فان
شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع الى التقليد
بعد مفارقته اذ من شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت
زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف الا أن يذاب
بالنار ويستأنف لها صنعة أخرى مستجدة فابتدرت لسلوك هذه الطرق و
استقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئا بعلم الكلام ومثنيا بطريق الفلسفة و
مثلثا بتعليمات الباطنية ومربعا بطريق الصوفية

القول في بيان مقصود علم الكلام وحاصله

ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت
كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما اردت ان أصنف فصادفته علما وافيا
بمقصوده غير واف بمقصودي وانما مقصوده حفظ عقيدة اهل السنة وحراستها
عن تشويش أهل البدعة فقد ألقى الله تعالى الى عباده على لسان رسوله
عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والاخبار
ثم القى الشيطان في وساوس المبتدعة امورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا

يشوشون

يشوشون عقيدة الحق على أهلها فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى اليه فاحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة والتغيير في وجه ما احدث من البدعة ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطرهم الى تسليمها اما التقليد أو اجماع الامة أو مجرد القبول من القرآن والاخبار وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلاً فلم يكن الكلام في حقي كافيا ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوف المتكلمون الى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الامور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق ولا أبعد ان يكون قد حصل ذلك لغيري بل لست اشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الامور التي ليست من الاوليات والغرض الآن حكاية حالي لا الانكار على من استشفى به فان ادوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر

القول في حاصل الفلسفة

وما يذم منها وما لا يذم وما يكفر فيه قائله وما لا يكفر وما يبتدع فيه وما لا يبتدع وبيان ما سرقوه من كلام أهل الحق ومزجوه بكلامهم لترويج باطلهم في درج ذلك وكيفية حصول نفرة النفوس من ذلك الحق وكيفية استخلاص صراف الحقائق الحق الخالص من الزيف والبهرج من جملة كلامهم ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم

الفلسفة وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في اصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة فاذ ذاك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساده حقا ولم ار احدا من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلا عمن يدعي دقائق العلوم فعلمت ان رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ واقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وانا ممنو بالتدريس والافادة لثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد فاطلعني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل اواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريبا من سنة اعاوده واردده واتفقد غوائله واغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع و تلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعا لم أشك فيه فاسمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم فاني رأيتهم اصنافا ورأيت علومهم أقساما وهم على كثرة اصنافهم يلزمهم سمة الكفر والالحاد وان كان بين القدماء منهم والاقدمين وبين الاواخر منهم والاوائل تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه

فصل في اصنافهم وشمول سمة الكفر كافتهم

اعلم انهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام الدهريون والطبيعيون و الالهيون الصنف الاول **الدهريون** وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان

وكذلك يكون ابدا وهؤلاء هم الزنادقة الصنف الثاني **الطبيعيون**
وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات واكثروا
الخوض في علم تشريح اعضاء الحيوانات فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى
وبدائع حكمته ما اضطروا معه الى الاعتراف بقادر حكيم مطلع على غايات الامور
ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الاعضاء مطالع الا ويحصل له هذا
العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان لاسيما بنية الانسان الا أن
هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوام
قوى الحيوان به فظنوا ان القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا وانها
تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم اذا انعدم فلا يعقل اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا
الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وانكروا الجنة والنار والقيامة و
الحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام
وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام وهؤلاء ايضا زنادقة لان أصل الايمان
هو الايمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وان امنوا بالله و
بصفاته الصنف الثالث **الالهيون** وهم المتأخرون منهم سقراط
وهو استاذ افلاطون وافلاطون استاذ ارسطاطاليس وارسطاطاليس هو الذي رتب
المنطق وهذب العلوم وخمر لهم ما لم يكن مخمرا من قبل وانضج لهم ما لم يكن
نجا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الاولين من الدهرية والطبيعية
وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما اغنوا به غيرهم وكفى الله المؤمنين القتال
بتقاتلهم ثم رد ارسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبلهم من الالهيين
ردا لم يقصر فيه حتى تبرء عن جميعهم الا انه استبقى أيضا من رذائل كفرهم
وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع منها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من المتفلسفة
الاسلاميين كابن سينا والفارابي وغيرهما على انه لم يقم بنقل علم ارسطاطاليس

احد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما
ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم وما لا
يفهم كيف يرد أو يقبل ومجموع ما صح عندنا من فلسفة ارسطاطاليس بحسب
نقل هذين الرجلين ينحصر في ثلاثة أقسام قسم يجب التكفير به وقسم
يجب التبديع به وقسم لا يجب انكاره أصلا فلنفصله **فصل في اقسام**
علومهم اعلم ان علومهم بالنسبة الى الغرض الذي نطلبه ستة أقسام
رياضية ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية أما الرياضية فتتعلق
بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شيء منها بالامور
الدينية نفيا واثباتا بل هي امور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها بعد فهمها
ومعرفتها وقد تولدت منها آفتان الاولى ان من ينظر فيها يتعجب من دقائقها
ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب ان
جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من
كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تناولته الالسن فيكفر بالتقليد المحض
ويقول لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا
عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم فيستدل على ان الحق هو الجحد والانكار
للدين وكم رأيت ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه واذا
قيل له الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا في كل صناعة فلا
يلزم ان يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقا في الطب ولا ان يكون الجاهل
بالعقليات جاهلا بالنحو بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها البراعة والسبق وان
كان الحمق والجهل قد يلزمهم في غيرها فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني
وفي الالهيات تخميني لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر
على هذا الذي الحد بالتقليد لم يقع منه موقع القبول بل يحمله غلبة الهوى

شهوة البطالة وحب التكايس على ان يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها
فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم
تتعلق بامر الدين لكن لما كانت من مبادى علومهم يسرى اليه شرهم وشومهم
فقل من يخوض فيه الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى
الآفة الثانية نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي
ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى
انكر قولهم في الكسوف والخسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما
قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد
ان الاسلام مبنى على الجهل وانكار البرهان القاطع فيزيد للفلسفة حبا و
للاسلام بغضا ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه
العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه العلوم
تعرض للامور الدينية وقوله عليه السلام ان الشمس والقمر آيتان من آيات
الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله
تعالى والى الصلاة ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعرف بسير
الشمس والقمر واجتماعهما او مقابلتهما على وجه مخصوص واما قوله لكن الله
اذا تجلى لشيء خضع له فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح اصلا فهذا
حكم الرياضيات وآفتها واما المنطقيات فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا
واثباتا بل هو النظر في طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان
وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم اما تصور و
سبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا
ما ينبغي ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون واهل النظر في الادلة
وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في

التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل ا ب لزم
ان بعض ب ا اى اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان
ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية واى تعلق لهذا
بمهمات الدين حتى يجحد وينكر فاذا انكر لم يحصل من انكاره عند اهل المنطق
الا سوء الاعتقاد فى عقل المنكر بل فى دينه الذى يزعم انه موقوف على مثل هذا
الانكار نعم لهم نوع من الظلم فى هذا العلم وهو انهم يجمعون للبرهان
شروطا يعلم انها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية
ما امكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر فى المنطق
ايضا من يستحسنه ويراه واضحا فيظن ان ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة
بمثل تلك البراهين فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه
الآفة ايضا متطرقة اليه **واما علم الطبيعيات** فهو بحث عن اجسام
العالم السموات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب
والنار وعن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن اسباب تغيرها
واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهى بحث الطبيب عن جسم الانسان
واعضائه الرئيسة والخادمة واسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط الدين
انكار علم الطب فليس من شرطه ايضا انكار ذلك العلم الا فى مسائل معينة
ذكرناها فى كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما يجب المخالفة فيها فعند
التأمل يتبين انها مندرجة تحتها واصل جملتها ان تعلم ان الطبيعة مسخرة لله
تعالى لا تعمل بنفسها بل هى مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم
والطبائع مسخرات بامره لا فعل لشىء منها بذاته عن ذاته **واما الالهيات**
ففيها اكثر اغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا فى المنطق
ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب ارسطاطاليس مذهبه فيها

من مذاهب الاسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما
غلطوا فيه يرجع الى عشرين اصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة
عشر ولابطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت اما
المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم ان الاجساد
لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة والعقوبات روحانية لا
جسمانية ولقد صدقوا في اثبات الروحانية فانها كائنة ايضا ولكن كذبوا في
انكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله تعالى يعلم
الكليات دون الجزئيات فهو ايضا كفر صريح بل الحق انه لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومن ذلك قولهم بقدم العالم وازليته
فلم يذهب احد من المسلمين الى شيء من هذه المسائل واما ما وراء ذلك
من نفيهم الصفات وقولهم انه عليم بالذات لا بعلم زائد على الذات وما يجري
مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل
ذلك وقد ذكرنا في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يتبين فيه
فساد رأي من يتسارع الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه واما السياسيات
فجميع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية السلطانية
وانما اخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف
الاولياء واما الخلقية فجميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس و
اخلاقها وذكر اجناسها وانواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما
اخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى
مخالفة الهوى وسلوك الطريق الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا
وقد انكشف لهم في مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات
اعمالها ما صرحوا بها فاخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل

بما الى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتألهين
لا يخلي الله العالم عنهم فانهم اوتاد الارض ببركتهم تنزل الرحمة الى اهل الارض كما
ورد في الخبر حيث قال عليه السلام بهم يمطرون وبهم يرزقون ومنهم كان اصحاب
الكهف وكانوا في سالف الازمنة على ما نطق به القرآن فتولد من مزجهم كلام
النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان آفة في حق القابل وآفة في حق الراد اما
آفته في حق من رده فعظيمة اذ ظنت طائفة من الضعفاء ان ذلك الكلام اذا كان
مدونا في كتبهم وممزوجا بباطلهم ينبغي ان يهجر ولا يذكر بل ينكر على من يذكره
لانهم اذ لم يسمعوه اولا الا منهم سبق الى عقولهم الضعيفة انه باطل لان قائله
مبطل كالذي يسمع من النصراني قول لا اله الا الله عيسى رسول الله فينكره
ويقول هذا كلام النصراني ولا يتوقف ريثما يتأمل ان النصراني كافر باعتبار
هذا القول او باعتبار انكاره نبوة محمد عليه السلام فان لم يكن كافرا الا باعتبار
انكاره فلا ينبغي ان يخالف في غير ما هو كافر به مما هو حق في نفسه وان كان
ايضا حقا عنده وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال
بالحق والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله كما الى عنه حين قال
لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر
في نفس القول فان كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا بل ربما يحرص
على انتزاع الحق من أقاويل اهل الضلال عالما بان معدن الذهب الرغام
ولا بأس على الصراف ان ادخل يده في كيس القلاب وانتزع الابريز الخالص
من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته فانما يزجر عن معاملة
القلاب القروي دون الصيرفي البصير ويمنع من ساحل البحر الاخرق
دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحية الصبي دون المعزم البارع
ولعمري لما غلب على اكثر الخلق ظنهم بانفسهم الحذاقة والبراعة وكمال العقل

في تمييز

في تمييز الحق عن الباطل والمهتدي عن الضلالة وجب حسم الباب في زجر الكافة
عن مطالعة كتب اهل الضلال ما امكن اذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التي
سنذكرها وان سلموا عن هذه الآفة التي ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات
المبثوثة في تصانيفنا في اسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم
سرائرهم ولم تنفتح الى اقصى غايات المذاهب بصائرهم وزعمت ان تلك الكلمات
من كلام الاوائل مع ان بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد ان يقع الحافر على
الحافر وبعضها يوجد في الكتب الشرعية واكثرها موجود معناها في كتب الصوفية
وهب انها لم توجد الا في كتبهم فاذا كان ذلك الكلام معقولا في نفسه مؤيدا
بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلم ينبغي ان يهجر وينكر فلو فتحنا
هذا الباب وتطرقنا الى ان يهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل للزمنا ان نهجر
كثيرا من الحق ولزمنا ان نهجر جملة من آيات القرآن واخبار الرسول وحكايات
السلف وكلمات الحكماء والصوفية لان صاحب كتاب اخوان الصفا اوردها
في كتابه مستشهدا بها ومستدرجا قلوب الحمقى بواسطتها الى باطله ويتداعى
ذلك الى ان يستخرج المبطلون الحق من ايدينا بايداعهم اياها كتبهم واقل
درجة العالم ان يتميز عن العامي الغمر فلا يعاف العسل وان وجده في
محجمة الحجام ويتحقق ان المحجمة لا تغير ذات العسل وان نفرة الطبع عنه
مبنى على جهل عامي منشؤه ان المحجمة انما صنعت للدم المستقذر فيظن ان
الدم مستقذر لكونه في المحجمة ولا يدري انه مستقذر بصفة في ذاته فاذا عدمت
هذه الصفة في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة فلا ينبغي ان يوجب له
الاستقذار وهذا وهم باطل وهو غالب على اكثر الخلق فمهما نسبت الكلام و
اسندته الى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وان كان باطلا وان اسندته
الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا فابدا يعرفون الحق بالرجال

ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال هذه آفة الرد الآفة الثانية
آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان الصفا وغيره فرأى ما مزجوا
بكلامهم من الحكم النبوية والكلمات الصوفية وربما استحسنها وقبلها و
حسن اعتقاده فيها فيسارع الى القبول بباطلهم الممزوج به بحسن ظن حصل
بما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج الى الباطل ولاجل هذه الآفة
يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر والخطر وكما يجب صون من
لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك
الكتب وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات يجب صون الاسماع
عن مختلط تلك الكلمات وكما يجب على المعزم ان لا يمس الحية بين يدي
ولده الطفل اذا علم انه سيقتدي به ويظن انه مثله بل يجب عليه ان يحذره
منه بان يحذر هو في نفسه بين يديه فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله
وكما ان المعزم الحاذق اذا اخذ الحية وميز بين الترياق والسم فاستخرج
منه الترياق وابطل السم فليس له ان يشح بالترياق على المحتاج اليه وكذلك
الصراف الناقد البصير اذا ادخل يده في كيس القلاب واخرج منه الابريز
الخالص والزيف والبهرج فليس له ان يشح بالجيد المرضي على
من يحتاج اليه كذلك العالم وكما ان المحتاج الى الترياق اذا اشمأزت نفسه
عنه حيث علم انه مستخرج من الحية التي هي مركز السم والفقير المضطر الى
المال اذا نفر عن قبول الذهب المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه
على ان نفرته جهل محض هو سبب حرمانه عن الفائدة التي هي مطلبه ويحتم
تعريفه على ان قرب الجوار بين الزيف والجيد لا يجعل الجيد زيفا كما لا يجعل
الزيف جيدا فكذلك قرب الجوار بين الحق والباطل لا يجعل الباطل حقا
كما لا يجعل الحق باطلا فهذا مقدار ما أردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها

القول في مذهب التعليم وغائلته ثم اني لما فرغت من علم
الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما زيف منه علمت ان ذلك أيضا غير
واف بكمال الغرض وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا
كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات وكان قد نبغت نابغة التعليمية وشاع بين
الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الامور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق عنّ
لي ان أبحث عن مقالاتهم لاطلع على ما في كتبهم ثم اتفق ان ورد على أمر جازم من
حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته
وصار ذلك مستحثا من خارج ضميمة للباعث الاصلي من الباطن فابتدأت
بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي
ولدتها خواطر اهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك
الكلمات ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها
حتى أنكر بعض اهل الحق مني مبالغتي في تقرير حجتهم وقال هذا سعي لهم فانهم
كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها و
ترتيبك اياها وهذا الانكار من وجه حق فلقد أنكر احمد بن حنبل على الحارث
المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة فرض فقال
أحمد نعم ولكن حكيت شبهتهم أولا ثم اجبت عنها فلم تأمن ان يطالع
الشبهة من تعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب أو ينظر الى الجواب ولا
يفهم كنهه وما ذكره احمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر أما اذا انتشرت
فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية نعم ينبغي ان لا يتكلف
لهم شبهة لم يتكلفوا ولم اتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من
واحد من أصحابي المختلفين الي بعد ان كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم
وحكى انهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فانهم لم يفهموا

بعد حجتهم وذكرت تلك الحجة وحكاها عنهم فلم أرض لنفسي ان يظن بي غفلة عن
أصل حجتهم فلذلك أوردتها ولا ان يظن بي اني وان سمعتها فلم افهمها
فلذلك قررتها والمقصود اني قررت شبهتهم الى اقصى الامكان ثم اظهرت
فسادها والحاصل انه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ولولا سوء
نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها الى هذه الدرجة ولكن
شدة التعصب دعت الذابين عن الحق الى تطويل النزاع معهم في مقدمات
كلامهم والى مجاحدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدوهم في دعواهم الحاجة الى
التعليم والى المعلم ودعواهم انه لا يصلح كل معلم بل لا بد من معلم معصوم و
ظهرت حجتهم في اظهار الحاجة الى التعليم والى المعلم وضعف قول المنكرين في
مقابلته فاغتر بذلك جماعة وظنوا ان ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه
بل الصواب الاعتراف بالحاجة الى معلم وانه لا بد وان يكون المعلم معصوما
ولكن معلمنا المعصوم هو محمد عليه السلام فاذا قالوا هو ميت فنقول و
معلمكم غائب فاذا قالوا معلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد وهو ينتظر
مراجعتهم ان اختلفوا أو اشكل عليهم مشكل فنقول ومعلمنا قد علم الدعاة
وبثهم في البلاد وأكمل التعليم اذ قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وبعد
كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته بقي قولهم كيف يحكمون فيما
لم يسمعوه أبالنص ولم يسمعوه أم بالاجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف فنقول
نفعل ما فعله معاذ اذ بعثه رسول الله عليه السلام الى اليمن أو نحكم بالنص عند
وجوده وبالاجتهاد عند عدمه بل كما يفعله دعاتهم اذا بعدوا عن الامام
الى أقاصي المشرق اذ لا يمكنه ان يحكم بالنص فان النصوص المتناهية لا تستوعب
الوقائع الغير المتناهية ولا يمكنه الرجوع في كل واقعة الى بلدة الامام والى
أن يقطع المسافة ويرجع ويكون المستفتي قد مات وفات الانتفاع



بالرجوع فمن أشكلت عليه القبلة ليس له طريق الا ان يصلى بالاجتهاد اذ لو
سافر الى بلدة الامام لمعرفة القبلة لفات وقت الصلاة فاذا جازت الصلاة
الى غير القبلة بناء على الظن ويقال ان المخطئ فى الاجتهاد له أجر واحد وللمصيب
أجران فكذلك فى جميع المجتهدات وكذلك أمر صرف الزكاة الى الفقير وربما
يظنه فقيرا باجتهاده وهو غنى باطنا باخفائه ماله ولا يكون مؤاخذا به وان
أخطأ لانه لم يؤاخذ الا بموجب ظنه فان قال ظن مخالفه كظنه فنقول هو
مأمور باتباع ظن نفسه كالمجتهد فى القبلة يتبع ظن نفسه وان خالفه
غيره وان قال فالمقلد يتبع أباحنيفة والشافعى رحمهما الله أو غيرهما فأقول
والمقلد فى القبلة عند الاشتباه اذا اختلف عليه المجتهدون كيف يصنع
فسيقول له مع نفسه اجتهاد فى معرفة الافضل الاعلم بدلائل القبلة فيتبع
ذلك الاجتهاد فكذلك فى المذاهب فرد الخلق الى الاجتهاد ضرورة
الانبياء والائمة مع العلم قد يخطؤن بل قال رسول الله عليه السلام
أنا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر أى أنا احكم بغالب الظن الحاصل
من قول الشهود وربما اخطؤا فيه ولا سبيل الى الامن من الخطأ للانبياء
فى مثل هذه المجتهدات فكيف يطمع فى ذلك ولهم ههنا سؤالان أحدهما
قولهم هذا وان صح فى المجتهدات فلا يصح فى قواعد العقائد اذ المخطئ
فيه غير معذور فكيف السبيل اليه فأقول قواعد العقائد يشتمل عليها الكتاب
والسنة وما وراء ذلك من التفصيل والمتنازع فيه يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس
المستقيم وهى الموازين التى ذكرها الله تعالى فى كتابه وهى خمسة ذكرتها فى
كتاب القسطاس المستقيم فان قال خصومك يخالفونك فى ذلك الميزان
فأقول لا يتصور ان يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه اذ لا يخالف فيه أهل
التعليم لانى استخرجته من القرآن وتعلمته منه ولا يخالف فيه اهل المنطق

لانه موافق لما شرطوه في المنطق غير مخالف له ولا يخالف فيه المتكلم لانه
موافق لما يذكروه في أدلة النظريات وبه يعرف الحق في الكلاميات فان قال فان
كان بيدك مثل هذا الميزان فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق فأقول لو أصغوا
الي لرفعت الخلاف بينهم وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب القسطاس
المستقيم فتأمله لتعلم أنه حق وأنه يرفع الخلاف قطعا لو اصغوا ولا يصغون
بأجمعهم بل قد أصغى الي طائفة فرفعت الخلاف بينهم وامامك يريد رفع
الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم فلم لم يرفع الى الآن ولم لم يرفع علي رضي
الله عنه وهو رأس الائمة أو يدعي أنه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء
قهرا فلم لم يحملهم الى الآن ولاي يوم أجله وهل حصل بين الخلق بسبب
دعوته الا زيادة خلاف وزيادة مخالف نعم كان يخشى من الخلاف نوع
من الضرر ولا ينتهي الى سفك الدماء وتخريب البلاد وايتام الاولاد و
قطع الطرق والاغارة على الاموال وقد حدث في العالم من بركات رفعكم
الخلاف ما لم يكن بمثله عهد فان قال ادعيت انك ترفع الخلاف بين الخلق
ولكن المتحير بين المذاهب المتعارضة والاختلافات المتقابلة لم يلزمه
الاصغاء اليك دون خصمك ولك خصوم يخالفونك ولا فرق بينك و
بينهم وهذا هو سؤالهم الثاني فأقول هذا أولا ينقلب عليك فانك اذا
دعوت هذا المتحير الى نفسك فيقول بم صرت أولى من مخالفيك
وأكثر أهل العلم يخالفونك فليت شعري بماذا تجيب أتجيب بان تقول امامي
منصوص عليه فمن يصدقك في دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول
وانما لم يسمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك ثم هب أنه
سلم لك النص فاذا كان متحيرا في أصل النبوة فقال هب ان امامك يدلي
بمعجزة عيسى فيقول الدليل على صدقي اني أحيي اباك فأحياه فناطقني وقا

محق

محق فبماذا أعلم صدقه ولم يعرف كافة الخلق صدق عيسى بهذه المعجزة بل
عليه من الاسئلة المشكلة ما لا يرفع الا بتدقيق النظر العقلي والنظر العقلي
لا يوثق به عندك ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق ما لم يعرف السحر و
التمييز بينه وبين المعجزة وما لم يعرف أن الله لا يضل عباده. وسؤال الاضلال
وعسر الجواب عنه مشهور فبماذا ايدفع جميع ذلك ولم يكن امامك أولى
بالمتابعة من مخالفه فيرجع الى الادلة النظرية التي ينكرها وخصمه يدلي بمثل
تلك الادلة وأوضح منها وهذا السؤال قد انقلب عليهم انقلابا عظيما لو
اجتمع أولهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جوابا لم يقدروا عليه وانما انشأ الفساد
من جماعة من الضعفة ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل بالجواب وذلك مما
يطول فيه الكلام ولا يسبق سريعا الى الافهام فلا يصلح للافحام فان قال
قائل فهذا هو القلب فهل عنه جواب فاقول نعم جوابه أن المتحير ان قال أنا
ولم يعين المسألة التي هو متحير فيها يقال له أنت كمريض يقول أنا مريض
ولا يذكر عين مرضه ويطلب علاجه فيقال له ليس في الوجود علاج للمرض
المطلق بل لمرض معين من صداع أو اسهال أو غيرهما فكذلك المتحير ينبغي
أن يعين ما هو متحير فيه فان عين المسألة عرفته الحق فيها بالوزن بالموازين
الخمسة التي لا يفهمها احد الا ويعترف بانه الميزان الحق الذي يوثق بكل ما
يوزن به فيفهم الميزان ويفهم أيضا منه صحة الوزن كما يفهم متعلم علم الحساب
نفس الحساب وكون الحاسب المعلم عالما بالحساب وصادقا فيه وقد أوضحت
لك في كتاب القسطاس في مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود الآن
بيان فساد مذهبهم فقد ذكرت ذلك في كتاب المستظهري أولا وفي كتاب
حجة الحق ثانيا وهو جواب كلام لهم عرض علي ببغداد وفي كتاب مفصل
الخلاف الذي هو اثنا عشر فصلا ثالثا وهو جواب كلام عرض علي بهمذان

وفي كتاب الدرج المرقوم بالجداول رابعا وهو من ركيك كلامهم الذي عرض
على بطوس وفي كتاب القسطاس خامسا وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده
بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء عن الامام لمن احاط به بل المقصود
ان هؤلاء ليس معهم شئ من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء بل هم
مع عجزهم عن اقامة البرهان على تعيين الامام طالما جربناهم فصدقناهم
في الحاجة الى التعليم والى المعلم المعصوم وانه الذي عينوه ثم سألناهم عن العلم
الذي تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها
فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا احالوا على الامام الغائب وقالوا انه
لا بد من السفر اليه والعجب انهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح
بالظفر به ولم يتعلموا منه شيئا اصلا كالمتضمخ بالنجاسة يتعب في طلب الماء
حتى اذا وجده لم يستعمله وبقي متضمخا بالخبائث ومنهم من ادعى شيئا من
علمهم وكان حاصل ما ذكره شيئا من ركيك فلسفة فيثاغورس وهو رجل
من قدماء الاوائل ومذهبه أرك مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه ارسطا
طاليس بل استرك كلامه واسترذله وهو المحكي في كتاب اخوان الصفا وهو
على التحقيق حشو الفلسفة فالعجب ممن يتعب طول العمر في تحصيل العلم
ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغث ويظن انه ظفر باقصى مقاصد
العلوم فهؤلاء ايضا جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم فرجع حاصلهم
الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم ومجادلتهم
في انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام قوي مفحم حتى اذا ساعدهم على الحاجة الى
المعلم مساعد وقال هات علمه وافدنا من تعليمه وقف وقال الآن اذا
سلمت لي هذا فاطلبه فانما غرضي هذا القدر فقط اذ علم انه لو زاد على
ذلك لافتضح ولعجز عن حل ادنى الاشكالات بل عجز عن فهمه فضلا عن

جواب فهذه حقيقة حالهم فاخبرهم تعلمهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم
ايضا **القول في طريق الصوفية** ثم اني لما فرغت من هذه العلوم
اقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت ان طريقتهم انما تتم بعلم وعمل
وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة
وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته
بذكر الله وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة
كتبهم مثل قوت القلوب لابي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي
والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك
من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما
يمكن ان يحصل من طريقتهم بالتعلم والسماع وظهر لي ان أخص خواصهم
مالم يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات فكم من
الفرق بين ان يعلم حد الصحة وحد الشبع واسبابهما وشروطهما وبين
ان يكون صحيحا وشبعان وبين ان يعرف حد السكر وانه عبارة عن حالة
تحصل من استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر وبين
أن يكون سكران بل السكران لايعرف حد السكر وعلمه وهو سكران وما
معه من علمه شيء والصاحي يعرف حد السكر واركانه وما معه من السكر
شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وادويتها وهو فاقد
للصحة فكذلك فرق بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطها واسبابها
وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقينا
انهم أرباب أحوال لا اصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم
فقد حصلته ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك
وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في

التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة
وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في نفسي لا
بدليل معين محرر بل باسباب وقرائن وتجاريب لا تدخل تحت الحصر
تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع لي في سعادة الآخرة الا بالتقوى
وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا
بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله
تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب عن الشواغل
والعلائق ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في العلائق وقد احدقت
بي من الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فاذا انا
فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي
في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب
الجاه وانتشار الصيت فتيقنت اني على شفا جرف هار واني قد أشفيت
على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم أزل اتفكر فيه مدة وانا بعد على
مقام الاختيار اصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال
يوما واحل العزم يوما واقدم فيه رجلا وأؤخر عنه أخرى لا يصفو لي رغبة
في طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها عشية
فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ومنادي الايمان
ينادي الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الا قليل وبين يديك السفر
الطويل وجميع ما أنت فيه من العمل والعلم رياء وتخييل فان لم تستعد
الآن للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن فمتى تقطع فبعد ذلك
تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة واياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال وان أذعنت

لها

لها وتركت هذا الجاه العريض والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص
والامر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم وربما الفت اليه نفسك ولا تيسر
لك المعاودة فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة
قريبا من ستة أشهر اولها رجب سنه ثمان وثمانين واربعمأة وفي هذا
الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار اذ قفل الله على لساني حتى
اعتقل عن التدريس فكنت اجاهد نفسي ان ادرس يوما واحدا
تطييبا للقلوب المختلفة وكان لا ينطق لساني بكلمة ولا استطيعها البتة ثم
أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطل معه قوة الهضم وقرم
الطعام والشراب فكان لا ينساغ لي شربة ولا تنهضم لقمة وتعدى الى
ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم عن العلاج وقالوا هذا امر
نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بان يتروح
السر عن الهم الملم ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت
الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له فاجابني الذي يجيب المضطر
اذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد و
الاصحاب واظهرت عزم الخروج الى مكة وانا اوري في نفسي سفر الشام
حذرا من ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي في المقام بالشام
فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم ان لا اعاودها
ابدا واستهدفت لأئمة اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز ان
يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا ان ذلك هو المنصب الاعلى
في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات
وظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة و
اما من قرب من الولاة فكان يشاهد الحاحهم في التعلق بي والانكباب

على واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوي
ليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة العلم ففارقت بغداد
وفرقت ما كان معي من المال ولم ادخر الا قدر الكفاف وقوت الاطفال
ترخصا بان مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم أر
في العالم مالا يأخذه العالم لعياله اصلح منه ثم دخلت الشام واقمت به قريبا
من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا
بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت
حصلته من علم الصوفية فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد
منارة المسجد طول النهار واغلق بابها على نفسي ثم دخلت منها الى بيت
المقدس ادخل كل يوم الصخرة واغلق بابها على نفسي ثم تحركت في داعية
فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى
عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى
الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد
ان كنت ابعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت العزلة ايضا حرصا على الخلوة
وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات
المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال
الا في اوقات متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع طمعي منها فتدفعني عنها
العوائق واعود اليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف
لي في اثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها و
القدر الذي اذكره لينتفع به اني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون
لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقهم اصوب
الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء و

وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم
ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا وان جميع حركاتهم وسكناتهم في
ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه
الارض نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي
اول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى
التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله
وهذا آخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من اوائلها
وهي على التحقيق اول الطريقة وما قبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن اول الطريقة
تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح
الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة
الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق ولا يحاول معبر ان يعبر
عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر
الى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك
خطأ وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الاقصى بل الذي لابسته تلك
الحالة لا ينبغي ان يزيد على ان يقول شعر وكان ما كان مما لست اذكره + فظن خيرا
ولا تسأل عن الخبر + وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة
النبوة الا الاسم وكرامات الاولياء على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك اول
حال رسول الله عليه السلام حين اقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد
حتى قالت العرب ان محمدا عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك
سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع ان اكثر معهم الصحبة
حتى يفهم ذلك بقرائن الاحوال يقينا ومن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان
فهم القوم لا يشقى جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم امكان ذلك يقينا

بشواهد البراهين على ما ذكرناه في كتاب عجائب القلب من كتاب احياء علوم
الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق والقبول
من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان فهذه ثلاث درجات (يرفع
الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) ووراء هؤلاء قوم
جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون و
يستهزئون ويقولون العجب انهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (و
منهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم
ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فاصمهم
واعمى ابصارهم) ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة
وخاصيتها ولا بد من التنبيه على أصلها لشدة مسيس الحاجة اليها القول
في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها اعلم ان جوهر الانسان
في أصل الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى والعوالم
كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى كما قال (وما يعلم جنود ربك الا هو) وانما
خبره من العالم بواسطة الادراك وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع
الانسان به على عالم من الموجودات ونعني بالعوالم اجناس الموجودات
فأول ما يخلق في الانسان حاسة اللمس فيدرك بها اجناسا من الموجودات
كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها و
اللمس قاصر عن الالوان والأصوات قطعا بل هي كالمعدوم في حق
اللمس ثم يخلق له البصر فيدرك به الالوان والأشكال وهو أوسع
عوالم المحسوسات ثم ينفتح له السمع فيسمع الأصوات والنغمات ثم يخلق له
الذوق وكذلك الى ان يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب
من سبع سنين وهو طور آخر من اطوار وجوده فيدرك فيه أمورا زائدة

على عالم المحسوسات لا يوجد منها شيء فى عالم الحس ثم يترقى الى طور آخر
فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وامورا لا
توجد فى الاطوار التى قبله ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين اخرى يبصر
بها الغيب وما سيكون فى المستقبل وأمورا أخر العقل معزول عنها كعزل قوة
التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما
ان المميز لو عرض عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها فكذلك بعض
العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها وذلك عين الجهل اذ لا مستند
لهم الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد فى حقه فيظن انه غير موجود فى نفسه
والاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وحكى له ذلك
ابتداء لم يفهمها ولم يقر بها وقد قرب الله تعالى على خلقه بان اعطاهم انموذجا
من خاصية النبوة وهو النوم اذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب اما
صريحا واما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الانسان من
نفسه وقيل له ان من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول عنه
احساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لانكره واقام البرهان على استحالته
وقال القوى الحساسة أسباب الادراك فمن لم يدرك الاشياء مع وجودها
وحضورها فبأن لا يدرك مع ركودها اولى واحق وهذا نوع قياس يكذبه
الوجود والمشاهدة فكما ان العقل طور من أطوار الآدمى يحصل فيه
عين يبصر بها انواعا من المعقولات والحواس معزولة عنها فالنبوة أيضا
عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر فى نورها الغيب وامور
لا يدركها العقل والشك فى النبوة اما ان يقع فى امكانها او فى وجودها
ووقوعها او فى حصولها لشخص معين ودليل امكانها وجودها ودليل
وجودها وجود معارف فى العالم لا يتصور ان تنال بالعقل كعلم الطب

النجوم فانه من يبحث عنها يعلم بالضرورة انها لا يدرك الا بالهام الهي و
توفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل اليها بالتجربة فمن الاحكام النجومية ما
لا يقع الا في كل الف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية
فتبين بهذا البرهان ان في الامكان وجود طريق لادراك هذه الامور التي
لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة لان النبوة عبارة عنها فقط بل ادراك
هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ولها
خواص كثيرة سواها وما ذكرناه قطرة من بحرها انما ذكرناها لان معك انموذجا
منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم وهي
معجزات الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة العقل اصلا اما ما عدا
هذا من خواص النبوة فانما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف لان
هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو النوم ولولاه لما صدقت به فان كان
للنبي خاصية ليس لك منها انموذج فلا تفهمها اصلا فكيف تصدق بها و
انما التصديق بعد التفهم وذلك الانموذج يحصل في اوائل طريق التصوف
فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لا
يحصل بالقياس اليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للايمان باصل
النبوة فان وقع لك الشك في شخص معين انه نبي ام لا فلا يحصل اليقين
الا بمعرفة احواله اما بالمشاهدة او بالتواتر والتسامع فانك اذا عرفت
الطب والفقه يمكنك ان تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة احوالهم
وسماع اقوالهم وان لم تشاهدهم ولا تعجز ايضا عن معرفة كون الشافعي
رحمه الله فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير
بان تتعلم شيئا من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك
علم ضروري بحالهما فكذلك اذا فهمت معنى النبوة فاكثر النظر في القرآن

والاخبار

والأخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات
النبوة وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب
وكيف صدق في قوله (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وكيف صدق
في قوله (من أعان ظالما سلطه الله عليه) وكيف صدق في قوله (من أصبح
وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة) فإذا جربت ذلك
في ألف وألفين وآلاف حصل لك علم ضروري لا تتمارى فيه فمن ذلك
الطريق فاطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فإن ذلك
إذا نظرت إليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما
ظننت أنه سحر وتخييل وأنه من الله إضلال فإنه يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وترد عليك مسألة المعجزات فإن كان مستند إيمانك كلاما
منظوما في وجه دلالة المعجزة فينجزم إيمانك بكلام مرتب في وجه الإشكال و
الشبهة عليها فليكن مثل هذه الخوارق إحدى الدلائل والقرائن في جملة
نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذي
يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد
معين بل من حيث لا يدري ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الآحاد
فهذا هو الإيمان القوي العلمي وأما الذوق فهو كالمشاهدة والأخذ
باليد ولا يوجد إلا في طريق التصوف فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف
في الغرض الذي أقصده الآن وسأذكر وجه الحاجة إليه

القول في سبب نشر العلم بعد الإعراض عنه

ثم إني لما واظبت على العزلة والخلوة قريبا
من عشر سنين وبان لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها
مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهاني ومرة بالقبول الإيماني أن الإنسان خلق
من بدن وقلب وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل معرفة الله دون

اللحم والدم الذي يشارك فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته
ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو (الا من أتى
الله بقلب سليم) وله مرض فيه هلاكه الابدي الاخروي كما قال تعالى (في قلوبهم
مرض) وان الجهل بالله سم مهلك وان معصية الله بمتابعة الهوى داؤه
الممرض وأن معرفة الله تعالى ترياقه المحيي وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه
الشافي وانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بادوية كما لا سبيل
الى معالجة البدن الا بذلك وكما ان أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية
فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين
أخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء فكذلك
بان لي على الضرورة أن أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة
المقدرة من جهة الانبياء لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب
فيها تقليد الانبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة لا ببضاعة العقل
وكما ان الادوية تركب من النوع والمقدار فبعضها ضعف البعض في الوزن و
المقدار فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص فكذلك العبادات
التي هي ادوية داء القلوب مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار حتى ان
السجود ضعف الركوع وصلاة الصبح نصف صلوة العصر في المقدار فلا
يخلو عن سر من الاسرار هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة
فقد تحامق وتجاهل جدا من اراد ان يستنبط بطريق العقل لها حكمة أو
ظن انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر إلهي فيها يقتضيها بطريق الخاصية
وكما ان في الادوية أصولا هي أركانها وزوائد هي متمماتها لكل واحد منها
خصوص تأثير في أعمال أصولها كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل
آثار أركان العبادات وعلى الجملة فالانبياء أطباء أمراض القلوب وانما فائدة

العقل وتصرفه أن عرّفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن
درك ما يدرك بعين النبوة وأخذ بأيدينا وسلمنا إليها تسليم العميان إلى
القائدين وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين وإلى هنا مجرى العقل
ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك إلا عن تفهيم ما يلقيه الطبيب إليه
فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة
ثم رأينا فتور الاعتقادات في أصل النبوة ثم في حقيقة النبوة ثم في العمل بما
شرحته النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق فنظرت في أسباب فتور
الخلق وضعف إيمانهم فإذا هي أربعة سبب من الخائضين في علم الفلسفة
وسبب من الخائضين في طريق التصوف وسبب من المنتسبين إلى دعوى
التعليم وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس فإني
تتبعت مدة آحاد الخلق اسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع وأسأله
عن شبهته وأبحث عن عقيدته وسره وقلت له ما لك تقصر فيها فإن
كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة
فإنك لا تبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع ما لا نهاية له بأيام معدودة و
إن كنت لا تؤمن به فأنت كافر فدبر نفسك في طلب الإيمان وانظر ما
سبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك باطناً وهو سبب جرأتك ظاهراً
وإن كنت لا تصرح به تجملاً بالإيمان وتشرفاً بذكر الشرع فقائل يقول
هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك فلان من
المشاهير بين الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب الخمر وفلان يأكل أموال
الأوقاف وأموال اليتامى وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن
الحرام وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا إلى أمثاله
وقائل ثان يدعي علم التصوف ويزعم أنه قد بلغ مبلغاً ترقى عن الحاجة إلى

العبادة وقائل ثالث يتعلل بشبهة اخرى من شبهات اهل الاباحة وهؤلاء
هم الذين ضلوا عن طريق التصوف وقائل رابع لقي اهل التعليم فيقول
الحق مشكل والطريق اليه منسد والاختلاف فيه كثير وليس بعض المذاهب
أولى من البعض وادلة العقول متعارضة فلا ثقة برأي أهل الرأي والداعي
الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف أدع اليقين بالشك وقائل خامس يقول
لست أفعل هذا تقليدا ولكني قرأت علم الفلسفة وادركت حقيقة
النبوة وان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة وان المقصود من تعبداتها
ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في
الشهوات فما انا من العوام الجهال حتى ادخل في حجر التكليف وانما أنا
من الحكماء اتبع الحكمة وانا بصير بها مستغن فيها عن التقليد هذا منتهى
ايمان من قرأ مذهب فلسفة الالهيين منهم وتعلم ذلك من كتب ابن
سينا وابي نصر الفارابي وهؤلاء هم المتجملون منهم بالاسلام وربما ترى
الواحد منهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة
بلسانه ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذا
قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي فربما يقول رياضة الجسد و
عادة أهل البلد وحفظ المال والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة
حق فيقال فلم تشرب الخمر فيقول انما نهي عن الخمر لانها تورث العداوة و
البغضاء وانا بحكمتي محترز عن ذلك وانما أقصد به تشحيذ خاطري حتى
ان ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها انه عاهد الله تعالى على كذا وكذا
وان يعظم الاوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية والبدنية
ولا يشرب تلهيا بل تداويا وتشافيا فكان منتهى حالته في صفاء
الايمان والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لغرض التشفي فهذا

إيمان

ايمان من يدعى الايمان منهم وقد انخدع بهم جماعة وزادهم انخداعا ضعف
اعتراض المعترضين عليهم اذ اعترضوا بمجاحدة علم الهندسة والمنطق
وغير ذلك مما هو ضرورى لهم على ما نبهنا عليه من قبل فلما رأيت أصناف
الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ورأيت نفسى مليئة
بكشف هذه الشبهة حتى كان افتضاح هؤلاء ايسر عندى من شربة
ماء لكثرة خوضى فى علومهم أعنى الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمترسمين
من العلماء انقدح فى نفسى ان ذلك متعين فى هذا الوقت محتوم فماذا
تغنيك الخلوة والعزلة وقد عم الداء ومرض الاطباء وأشرف الخلق على
الهلاك ثم قلت فى نفسى ومتى تستقل انت بكشف هذه الغمة ومصادمة
هذه الظلمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت
بدعوة الخلق عن طرقهم الى الحق لعاداك أهل الزمان باجمعهم وأنى
تقاومهم فكيف تعايشهم ولا يتم ذلك الا بزمان مساعد وسلطان متدين
قاهر فترخصت بينى وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللا بالعجز
عن اظهار الحق بالحجة فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت
من نفسه لا بتحريك من خارج فأمر أمر الزام بالنهوض الى نيسابور لتدارك
هذه الفترة وبلغ الالزام حدا كان ينتهى لو أصررت على الخلاف الى حد
الوحشة فخطر لى ان سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغى ان يكون باعثك
على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة وطلب عز النفس وصونها عن أذى
الخلق ولم ترخص نفسك بعسر مقاساة الخلق والله تعالى يقول (بسم الله
الرحمن الرحيم الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم الآية) ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه
(ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم

نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ويقول عز وجل
بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم الى قوله انما تنذر من اتبع الذكر
فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات فاتفقوا على
الاشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات من
الصالحين كثيرة متواترة تشهد بان هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدرها
الله سبحانه على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه باحياء دينه على رأس
كل مائة فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ويسر
الله تعالى الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين
واربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربع
مائة وبلغت مدة العزلة احدى عشر سنة وهذه حركة قدرها الله تعالى
وهو من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب في هذه العزلة
كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الاحوال مما يخطر امكانه
أصلا بالبال والله تعالى مقلب القلوب والاحوال وقلب المؤمن بين
أصبعين من اصابع الرحمن وانا أعلم اني وان رجعت الى نشر العلم فما
رجعت فان الرجوع عود الى ما كان وكنت في ذلك الزمان انشر العلم الذي
به يكسب الجاه وادعو اليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي ونيتي واما
الآن فادعو الى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه هذا
هو الآن نيتي وقصدي وامنيتي يعلم الله ذلك مني وانا ابغي ان أصلح نفسي
وغيري ولست ادري أأصل الى مرادي ام أخترم دون غرضي ولكني أومن
ايمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واني لم
أتحرك لكنه حركني واني لم أعمل لكنه استعملني فاسأله ان يصلحني أولا ثم
يصلح بي ويهديني ثم يهدي بي وان يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه و

يريني

ويريني البال بالملل بالملال ويرتقي اجتنابه ونعود الآن الى ما ذكرناه من اسباب
ضعف الايمان بذكر طريق ارشادهم وانقاذهم من مهالكهم اما الذين ادعوا
الحيرة بما سمعوه من اهل التعليم فعلاجهم ما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم
ولا نطول بذكره في هذه الرسالة واما ما توهمه اهل الاباحة فقد حصرنا
شبههم في سبعة انواع وكشفناها في كتاب كيمياء السعادة واما من فسد
ايمانه بطريق الفلسفة حتى انكر اصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها
بالضرورة بدليل وجود علم خواص الادوية والنجوم وغيرهما وانما قدمنا
هذه المقدمة لاجل ذلك وانما اوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لانه
من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلم كالنجوم والطب والطبيعة
والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة واما من اثبت
النبوة بلسانه وسوى اوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة
وانما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص يقتضي طالعه ان يكون متبوعا
وليس هذا من النبوة في شيء بل الايمان بالنبوة ان يقر باثبات طور وراء
العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها
كعزل السمع عن ادراك الالوان والبصر عن ادراك الاصوات وجميع
الحواس عن ادراك المعقولات وان لم يجوز هذا فقد اقمنا البرهان على
امكانه بل على وجوده فان جوز هذا فقد اثبت ان ههنا امورا تسمى خواص
لا يدور تصرف العقل حواليها اصلا بل يكاد العقل يكذب بها ويقضي باستحالتها
فان وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق لفرط برودته
والذي يدعي علم الطبيعة يزعم ان ما يبرد من المركبات انما يبرد بعنصري
الماء والتراب فهما العنصران الباردان ومعلوم ان ارطالا من الماء والتراب
لا يبلغ تبريدهما في الباطن الى هذا الحد فلو اخبر طبيعي بهذا ولم يجربه لقال

هذا محال والدليل على استحالته أن فيه نارية وهوائية والهوائية والنارية لا
تزيد برودة فنقدر الكل ماء وترابا فلا يوجب هذا الافراط في التبريد
فان انضم اليه حاران فبأن لا يوجب أولى ويقدر هذا برهانا وأكثر
براهين الفلاسفة في الطبيعيات والالهيات مبني على هذا الجنس فانهم
تصوروا الامور على قدر ما وجدوه وعقلوه وما لم يألفوه قدروا استحالته
ولو لم تكن الرؤيا الصادقة مألوفة وادعى مدع أنه عند ركود الحواس يعلم
الغيب لانكره المتصفون بمثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل يجوز أن
يكون في الدنيا شيء هو مقدار حبة يوضع في بلدة فيأكل تلك البلدة بجملتها
ثم يأكل نفسه فلا يبقى شيء من البلدة وما فيها ولا يبقى هو في نفسه لقال
هذا محال وهو من جملة الخرافات وهذه حالة النار وينكرها من لم ير
النار اذا سمعها وأكثر عجائب الآخرة هو من هذا القبيل فنقول للطبيعي
قد اضطررت الى أن تقول في الافيون خاصية في التبريد ليس على قياس
المعقول بالطبيعة فلم لا يجوز أن يكون في الاوضاع الشرعية من الخواص
في مداواة القلوب وتصفيتها ما لا يدرك بالحكمة العقلية بل لا يبصر ذلك
الا بعين النبوة بل قد اعترفوا بخواص هي أعجب من هذا فيما أوردوه
في كتبهم وهي من الخواص العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها
الطلق بهذا الشكل (٨) يكتب على خرقتين لم يصبهما الماء وتنظر اليهما
الحامل بعينها وتضعهما تحت قدميها فيسرع الولد في الحال الى الخروج و
قد أقروا بامكان ذلك وأوردوه في كتاب عجائب الخواص وهو شكل فيه
بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع ما في جدول واحد خمسة
عشر قرأته في طول الشكل أو في عرضه أو على التأريب فيا ليت شعري من
يصدق بذلك ثم لم يتسع عقله للتصديق بأن تقدير صلاة الصبح بركعتين

والظهر أربع والمغرب ثلاث هي لخواص غير معقولة بنظر الحكمة وسببها
اختلاف هذه الأوقات وإنما تدرك هذه الخواص بنور النبوة والعجب
انا لو غيرنا العبارة على عبارة المنجمين لعقلوا اختلاف هذه الأوقات
فنقول أليس يختلف الحكم في الطالع بأن تكون الشمس في وسط السماء
أو في الطالع أو في الغارب حتى يبنوا على هذا في تسييراتهم اختلاف
الهيلاج وتفاوت الأعمار والآجال ولا فرق بين الزوال وبين كون
الشمس في وسط السماء ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب
فهل لتصديقه سبب إلا أن ذلك يسمعه هنا بياض بأصله (٨) تأتي صورته في آخر
الكتاب بياض ايضا بعبارة منجم لعله جرب كذبه مائة مرة ولا تزال تعاود تصديقه
حتى لو قال المنجم إذا كانت الشمس في وسط السماء ونظر إليها الكوكب
الفلاني والطالع هو البرج الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت
قتلت في ذلك الثوب فإنه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما يقاسي
فيه البرد الشديد وربما سمعه من منجم قد عرف كذبه مرات فليت شعري
من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ويضطر إلى الاعتراف بأنها خواص
معرفتها معجزة بعض الأنبياء كيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول
نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب وإذ انظر في إمكان
هذه الخواص في أعداد الركعات ورمي الجمار وعدد أركان الحج وسائر
تعبدات الشرع لم يجد بينها وبين خواص الأدوية والنجوم فرقا أصلا
فإن قال قد جربت شيئا من النجوم وشيئا من الطب فوجدت بعضه
صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط من قلبي استبعاده ونفرته
وهذا لم أجربه فبم أعلم وجوده وتحققه وإن أقررت بإمكانه فأقول
إنك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار المجربين فقلدتهم

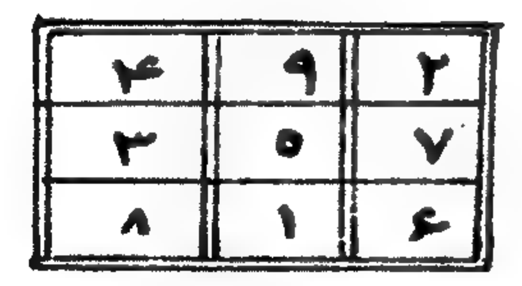
فاسمع أقوال الاولياء فقد جربوا وشاهدوا الحق في جميع ما ورد به
الشرع واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على اني اقول
ان لم تجربه فيقضي عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعا فانا لو
فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب المرض فمرض وله والد مشفق حاذق
بالطب يسمع دعواه معرفة الطب منذ عقل فعجن له والده دواء فقال
هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك فماذا يقتضيه عقله وان كان
الدواء مرا كريه المذاق أيتناوله أو يكذب ويقول انا لا أعقل مناسبة
هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم أجربه فلا شك انك تستحمقه ان فعل
ذلك وكذلك يستحمقك أهل البصائر في توقفك فان قلت فبم اعرف
شفقة النبي عليه السلام ومعرفته بهذا الطب فأقول وبم عرفت شفقة
أبيك وليس ذلك امرا محسوسا لكن عرفته بقرائن أحواله وشواهد
أعماله في مصادره وموارده علما ضروريا لا تتمارى فيه ومن نظر في
أقوال رسول الله عليه السلام وما ورد من الاخبار في اهتمامه بارشاد
الخلق وتلطفه في حق الناس بانواع الرفق واللطف الى تحسين الاخلاق
واصلاح ذات البين وبالجملة الى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل
له علم ضروري بان شفقته على أمته اعظم من شفقة الوالد على ولده و
اذا نظر الى عجائب ما ظهر عليه من الافعال والى عجائب الغيب الذي
اخبر عنه في القرآن على لسانه وفي الاخبار الى ما ذكره في آخر الزمان و
ظهور ذلك كما ذكره علم علما ضروريا انه بلغ الطور الذي وراء العقل
وانفتحت له العين الذي ينكشف منها الغيب الذي لا يدركه الا
الخواص والامور التي لا يدركها العقل فهذا هو منهاج تحصيل العلم
الضروري بتصديق النبي عليه السلام فجرب وتأمل القرآن وطالع الاخبار

تعرف ذلك بالعيان وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرنا ما لشدة الحاجة
اليه في هذا الزمان وأما السبب الرابع وهو ضعف الايمان بسبب سوء
سيرة العلماء فتداوي هذا المرض بثلاثة أمور أحدها ان تقول ان
العالم الذي تزعم انه يأكل الحرام معرفته بتحريم ذلك الحرام كمعرفتك بتحريم الخمر
والربا بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة وانت تعرف ذلك وتفعله لا لعدم
ايمانك بانه معصية بل لشهوتك الغالبة عليك فشهوته كشهوتك وقد
غلبته كما غلبتك فعلمه بمسائل وراء هذا يتميز به عنك لا يناسب زيادة
زجر عن هذا المحظور المعين وكم من مؤمن بالطب لا يصبر عن الفاكهة
وعن الماء البارد وان زجره الطبيب عنه ولا يدل ذلك على انه غير ضار
او على ان الايمان بالطب غير صحيح فهذا محمل هفوة العلماء الثاني ان يقال
للعامي ينبغي ان تعتقد ان العالم اتخذ علمه ذخرا لنفسه في الآخرة ويظن
ان علمه ينجيه ويكون شفيعا له حتى يتساهل معه في أعماله لفضيلة علمه
وان جاز أن يكون زيادة حجة عليه فهو يجوز ان يكون زيادة درجة له وهو
ممكن فهو وان ترك العمل يدلي بالعلم اما انت ايها العامي فاذا نظرت
اليه وتركت العمل وأنت عن العلم عاطل فتهلك بسوء عملك ولا شفيع
لك الثالث وهو الحقيقة ان العالم الحقيقي لا يقارف[٢] معصية الا على
سبيل الهفوة ولا يكون مصرا على المعاصي أصلا اذ العلم الحقيقي ما يعرف
ان المعصية سم مهلك وان الآخرة خير من الدنيا ومن عرف ذلك لا يبيع
الخير بما هو أدنى وهذا العلم لا يحصل بانواع العلوم التي يشتغل بها اكثر
الناس فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم الا جرأة على معصية الله تعالى وأما
العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفا وذلك يحول بينه وبين المعاصي
الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات وذلك لا يدل على

[٢] يقارف

ضعف الايمان فالمؤمن مفتن تواب وهو بعيد عن الاصرار و
الاكباب فعلنا اما اردت ان اذكره في ذم الفلسفة والتعليم وآفاتهما
وآفات من انكر عليهما الا بطريقه ونسأل الله العظيم ان
يجعلنا ممن اثره واجتباه وارشده الى الحق وهداه
والهمه ذكره حتى لا ينساه وعصمه من شر نفسه
حتى لم يؤثر عليه سواه واستخلصه
لنفسه حتى لا يعبد
الا اياه

تم



٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

د	ط	ب
ج	ه	ز
ح	ا	و

الرسالة الثالثة
كتاب المضنون به على غير أهله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على موجب ما هدانا الى حمده ووفقنا للقيام بشكره والصلاة والسلام
على سيدنا محمد أشرف من انتسب الى آدم عليه السلام وعلى آله الاطهار وصحبه
الاخيار اعلم ان لكل صناعة اهلا يعرف قدرها ومن اهدى نفائس
صناعة الى غير اربابها فقد ظلمها وهذا علق نفيس مضنون به على غير أهله
ضن صانه عمن لا يعرف قدره فقلت حقا أكرمت بهذا العلق على سبيل
التهادي أخي وعزيزي أحمد صانه الله عن الركون الى دار الغرور وأهله
لمعرفة بعض حقائق الاشياء التي كانت معرفة جميعها مطلوبة لسيد ولد
آدم عليه السلام حيث قال أرنا الاشياء كما هي وهذا العلق المضنون به على
غير أهله يشتمل على أربعة أركان الركن الاول في معرفة الربوبية
الركن الثاني في معرفة الملائكة الركن الثالث في حقائق المعجزات
الركن الرابع في معرفة ما بعد الموت والانتقال من الدنيا الى العقبى
وفقنا الله تعالى لما يرضى ويحب فانه خير موفق ومعين واليه المرجع
والمصير الركن الاول في علم الربوبية فصل الزمان لا يكون

مخلوقا وخلق الزمان في الزمان أمر محال فاليوم هو الكون الحادث
في اللغة وايام الله حيث قال وذكرهم بأيام الله مراتب مخلوقاته ومصنوعاته
ومبدعاته من وجوه منها قوله في أربعة أيام فيوم مادة السماء ويوم
صورتها ويوم كواكبها ويوم نفوسها وقوله خلق الأرض في يومين لمادة
والصورة ومادة السموات ومادة بروجها صورتها واحدة ومادة
الارض مادة مشتركة بين أزواج وتحول وهي أخس لانها مثل مومسة
تقبل كل ناكح (ومنها) الجماد والمعدنيات داخلة في الجماد والنبات في النبات الحيوان
البهيم والانسان (ومنها) الارض والماء والهواء والنار والآثار العلوية
والاجرام السماوية وكل ما هو فوق الارض فهو سماء من طريق اللغة
لان اهل اللغة تقول كل ما علاك فهو سماؤك وكل ما دون الفلك يعني
فلك القمر بالنسبة الى الافلاك أرض لقوله ومن الارض مثلهن الأولى
كرة النار والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الطين المجفف الذي فوق الماء
والرابعة الماء والخامسة الارض البسيطة والسادسة الممتزجات
من هذه الاشياء والسابعة الآثار العلوية **فصل** نظيرتقوا في الاسباب
الارتقاء صعود الأخس الى الاشرف حتى ينتهي الى واجب الوجود كما
قال تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل
للكتب وقوله تعالى أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الأول
انطباق فلك البروج على معدل النهار والفتق بعده الرتق ظهور الميل
فصل الرتق مقلوب مضمون وهو من المعقولات لا من المنقولات
لان الحق تعالى يعقل ذاته وما توجبه ذاته فهو قد عقل جميع الموجودات
وان كان بالقصد الثاني وانما يوجب وجود كل واحد منها أعني
من الموجودات المبدعات على ما وجد لانه سبحانه وتعالى يعقل وجود



الكل من ذاته فكما ان تعقله ذاته لا يجوز ان يتغير كذلك تعقله لكل ما توجبه ذاته
ولكل ما يعقل وجوده من ذاته لا يتغير بل يجب وجود كل ذلك وجود
انواع الحيوانات وبقاؤها مما تعقل لاشك فيه خصوصا النوع الانسانى و
النوع انما يبقى مستحفظا بالاشخاص فى بلوغ كل شخص الى الغاية التى يمكن
ان يولد شخصا آخر مثله لا يمكن الا ببقائه مدة وبقاؤه تلك المدة لا يصح
الا بما فيه قوام الحياة وقوام الحياة بالرزق لانه تعالى يعقل وجود الكل من
ذاته ووجود ما يعقله من ذاته واجب وتعقل بقاء النوع الانسانى ببقاء
الاشخاص وتناسلهم وتعقل تناسلهم ببقاء كل شخص وتعقل بقاء كل شخص
مدة بما فيه قوام حياته وهو الرزق والرزق انما يكون من النبات والحيوان
وهما الخبز واللحم والفواكه من جملة النبات واكثر الحلاوى فوجب ان يكون
الرزق مضمونا بتقدير الرؤف الرحيم لذلك قال تعالى وفى السماء رزقكم
وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فصل
من لا يعرف حقيقة الرؤيا لا يعرف حقائق اقسام الرؤيا ومن لا يعرف
حقيقة رؤيا الرسول عليه السلام وسائر الرسل بل رؤيا الذين ماتوا لا يعرف
رؤيا الله تعالى فى المنام والعامى يتصور ان من رأى رسول الله فى المنام فقد
رأى حقيقة شخصه وكان المعنى الذى وقع فى النفس حاكى الخيال عنه بلفظ
فكذلك كل نقش ارتسم فى النفس يمثل الخيال له صورة ولا أدرى أنه
كيف يتصور رؤية شخص الرسول فى المنام وشخصه مودع فى روضة المدينة
وما شق القبر وما خرج الى موضع يراه النائم ولئن سلمنا فلك فربما يراه
فى ليلة واحدة الف نائم فى ألف موضع على صور مختلفة والوهم يساعد العقل
فى أنه لا يمكن تصور شخص واحد فى حالة واحدة فى مكانين ولا على صورة
طويل وربع وشاب وكهل وشيخ ومن لا تحيط معرفته بفساد هذا

التصور فقد قنع من غريزة العقل بالاسم والرسم دون الحقيقة والمعنى
لا ينبغي ان يعاتب بل لا ينبغي ان يخاطب فاعلم يقول ما يراه مثال لا شخص
ويقال هو مثال شخص أو مثال حقيقة روحه المقدسة عن الصورة والشكل
فان قال هو مثال شخصه الذي هو عظمه ولحمه فأي حاجة الى شخصه وشخصه
في نفسه متخيل ومحسوس ثم من رأى شخصه بعد الموت دون الروح
فكأنه ما رأى النبي بل رأى جسما كان يتحرك بتحريك النبي عليه الصلاة والسلام
فكيف يكون رائيا له برؤية مثال شخصه بل الحق انه مثال روحه المقدسة التي
هي محل النبوة فما رآه من الشكل ليس هو روح النبي ع جوهره ولا شخصه
بل مثاله على التحقيق فان قيل فأي معنى لقوله عليه الصلاة والسلام من رآني
في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي قلنا لا معنى له الا ان ما رآه
مثال واسطة بين النبي وبينه من تعريف الحقايق فكان جوهر النبوة أعني
الروح المقدسة الباقية من النبي بعد وفاته منزهة عن اللون والشكل و
الصورة ولكن تنتهي تعريفاته الى الامة بواسطة مثال صادق في شكل ولون
وصورة واذا كان جوهر النبوة منزها عن ذلك فكذلك ذات الله منزه
عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس
من نور أو غيره من الصور الجميلة التي تصلح ان تكون مثالا للجمال المعنوي
الحقيقي الذي لا صورة له ولا لون ويكون ذلك المثال صادقا وحقا وواسطة
في التعريف فيقول النائم رأيت الله تعالى في المنام لا بمعنى اني رأيت ذاته
كما يقول رأيت النبي لا بمعنى انه رأى ذات النبي وروحه أو ذات شخصه
بل بمعنى أنه رأى مثاله فان قيل ان النبي له مثل والله تعالى لا مثل له قلنا
هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال فليس المثال عبارة عن المثل اذ المثل
عبارة عن المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة

فان العقل معنى لا يماثله غيره ولنا أن نصور الشمس له مثالا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد وهو ان المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل فهذا القدر من المناسبة كاف في المثال بل السلطان يمثل في النوم بالشمس والقمر بالوزير والسلطان لا يماثل الشمس بصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل القمر الا ان السلطان له استعلاء على الكافة ويعم اثره الجميع والشمس تناسبه في هذا القدر والقمر واسطة بين الشمس والارض في افاضة اثر النور كان الوزير واسطة بين السلطان والرعية في افاضة اثر العدل فهذا امثال وليس بمثل والله تعالى قال (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فأي مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة والشجرة والزيت قال الله تعالى (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا) الآية ذكر ذلك تمثيلا للقرآن والقرآن صفة قديمة لا مثل له فكيف صار الماء له مثالا وكم من المنامات عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رؤيا لبن أو حبل فقال اللبن هو الاسلام والحبل هو القرآن الى امثال له لا تحصى وأي مماثلة بين اللبن والاسلام والحبل والقرآن الا في مناسبة وهو ان الحبل يتمسك به للنجاة والقرآن كذلك واللبن غذاء تغتذى به الحياة الظاهرة والاسلام غذاء تغتذى به الحياة الباطنة فهذا كله امثال وليس بمثل بل هذه الاشياء لا مثل لها والله تعالى لا مثل له لكن له امثلة محاكية لمناسبات معقولة من صفات الله تعالى فانا اذا عرفنا المسترشد ان الله تعالى كيف يخلق الاشياء وكيف يعلمها وكيف يريدها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام بنفسه مثلنا جميع ذلك بالانسان ولولا ان الانسان عرف من نفسه هذه الصفات لما فهم

مثاله في حق الله تعالى فالمثال في حق الله تعالى جائز والمثل باطل فان المثال
هو ما يوضح الشيء والمثل ما يشابه الشيء فان قيل هذا التحقيق الذي ذكرتموه
ليس يفضي الى ان الله تعالى يرى في المنام بل الى ان الرسول أيضا لا يرى فان
المرئي مثاله لا عينه فقوله من رآني في المنام فقد رآني فهو نوع تجوز معناه
كأنه رآني وما سمع من المثال كأنه سمع مني قلنا وهذا اما يريده القائل بقوله
رأيت الله تعالى في المنام لا غير أما ان يريد به انه رأى ذاته على ما هو عليه فلا لما
حصل الاتفاق على ان ذات الله تعالى لا ترى وان مثالا يعتقده النائم ذات
الله تعالى أو ذات النبي يجوز ان يرى وكيف ينكر ذلك ومع وجوده في المنامات
فان لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة انهم رأوا ذلك الا ان المثال المعتقد
قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا ومعنى الصادق ان الله تعالى جعل رؤياه
واسطة بين الرائي وبين النبي في تعريف بعض الأمور وفي قدرة الله تعالى
خلق مثل هذه الواسطة بين العبد وبين اتصال الحق به وهو موجود فكيف
يمكن انكاره فان قيل اذا كانت رؤية الرسول تجوزا فالتجوز مما قد اذن
في اطلاقه في حقه ولا يجوز في حق الله تعالى من الاطلاقات الا ما ورد الاذن
به قلنا قد ورد الاذن باطلاق ذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رأيت ربي في أحسن صورة وهذا انما أورده في الاخبار التي وردت
في اثبات الصورة لله تعالى حيث قال ان الله خلق آدم على صورته وليس
المراد به صورة الذات اذ الذات لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال كما
تجلى جبريل في صورة دحية الكلبي وفي غيرها من الصور حتى انه رآه
مرارا كثيرة وما رآه في صورته الحقيقية الا مرة أو مرتين وتمثل جبريل في
صورة دحية الكلبي ليس بمعنى انه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي
بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول مثالا مؤديا عن جبريل ما أوحى اليه

وكذلك قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا واذا لم يكن ذلك استحالة في ذات الملك وانقلابا بل يبقى جبرئيل على حقيقته وصفته وان ظهر للنبي في صورة دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق الله تعالى في يقظة ولا في منام نعم انما يدل من جهة الخبر على جواز الاطلاق وقد ورد عن السلف اطلاق ذلك ونقلت فيه آثار واخبار ولو لم يرد فيه الاطلاق لكنا نقول يجوز اطلاق كل لفظة في حق الله تعالى صادقة لا منع منه ولا تحريم اذا كان لا يوهم الخطأ عند المستمع وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة تداول الالسنة له فان فرض شخص توهم عنده خلاف الحق فلا ينبغي ان يطلق معه القول بل يفسر له معناه كما يجوز ان تقول انا نحب الله تعالى او نشتاق اليه ونريد لقاءه وقد سبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات خيالات فاسدة والاكثرون يفهمون معناه على وجهه من غير خيال فاسد فيراعى في هذه الاطلاقات حال خيال المخاطب فيجوز الاطلاق من غير كشف ولا تفسير حيث لا ايهام ويجب الكشف عند الايهام وعلى الجملة هذا يرد الخلاف الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول الاتفاق على لفظ المعنى من ان ذات الله تعالى مرئية وان المرئي مثال وظن من ظن ان ستحالة المثال في حق الله تعالى خطأ بل نضرب لله تعالى ولصفاته الامثال وننزهه عن المثل ولا ننزهه عن المثال وله المثل الاعلى **فصل** قوله تعالى قل هو الله احد فرق بين الواحد والاحد يقال الله تعالى والحكم اله واحد فيقال الانسان شخص واحد وصنف واحد والمراد به انه جملة هي جملة واحدة ويقال الف واحد فالواحد المشار اليه من طريق العقل والحس هو الذي يمتنع مفهومه عن وقوع الشركة فيه والاحد هو الذي لا تركيب فيه ولا جزء له بوجه من الوجوه فالواحد نفي الشريك والمثل

والاحد نفي الكثرة في ذاته وقوله تعالى الله الصمد الصمد الغني المحتاج اليه
غيره وهذا دليل على ان الله تعالى احدي الذات وواحد لانه لو كان له شريك
في ملكه لما كان صمدا غنيا يحتاج اليه غيره بل كان هو ايضا يحتاج الى
شريكه في المشاركة او التثنية ولو كان له اجزاء تركيب وحد لما كان صمدا
يحتاج اليه غيره بل هو محتاج في قوامه ووجوده الى اجزاء تركيبه وحده
فالصمدية دليل على الواحدية والاحدية ولم يلد دليل على ان وجوده
المستمر ليس مثل وجود الانسان الذي يبقى نوعه بالتوالد والتناسل
بل هو وجود مستمر ازلي وابدي ولم يولد دليل على ان وجوده ليس مثل
وجود الانسان الذي يحصل بعد العدم ويبقى دائما اما في جنة عالية لا
تفنى واما في هاوية لا تنقطع ولم يكن له كفوا احد دليل على ان الوجود
الحقيقي الذي له تبارك وتعالى وهو الوجود الذي يفيد وجود غيره
ولا يستفيد الوجود من غيره ليس الا له تبارك وتعالى فقوله قل هو الله
احد دليل على اثبات ذاته المنزه المقدس والصمدية نفي واضافة نفي الحاجة
عنه واحتياج غيره اليه والاحدية ولم يلد الى آخر السورة سلب ما يوصف
به غيره تعالى عنه فلا طريق في معرفة ذات الله تعالى ابين واوضح من
سلب صفات المخلوقات عنه **فصل** يتخيل بعض الناس كثرة في ذات
الله تعالى من طريق تعدد الصفات وقد صح قول من قال في الصفات
لا هو ولا غيره وهذا التخيل يقع من توهم التغاير ولا تغاير في الصفات
مثال ذلك ان انسانا يعلم صورة الكتابة وكم علم بصورة بسم الله التي
تظهر تلك الصورة على القرطاس وهذه صفة واحدة ويحال لها ان
يكون المعلوم تبعا لها فانه اذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة
على القرطاس بلا حركة يد وواسطة قلم ومداد فهذه الصفة من حيث

ان المعلوم انكشف بها يقال لها علم ومن حيث ان الالفاظ تدل عليها يقال لها
كلام فان الكلام عبارة عن مدلول العبارات ومن حيث ان وجود المعلوم
تبع لها يقال لها القدرة ولا تغاير ههنا بين العلم والقدرة والكلام فان هذه
صفة واحدة في نفسها ولا تكون هذه الاعتبارات الثلاث واحدة وكل من كان
أعور ينظر بالعين العوراء فلا يرى الا مطلق الصفة فيقول هو هو واذا التفت
الى الاعتبارات الثلاث فقال هي غيره ومن اعتبر مطلق الصفة مع الاعتبارات
فقد نظر بعينين صحيحتين اعتقد انها لا هو ولا غيره والكلام في صفات الله
تعالى وان كان مناسبا بهذا المثال فهو مباين له بوجه آخر وتفهيم هذه المعاني
بالكتابة عسير غير يسير وأما الوهم الذي وقع لبعض الناس ان المثال في حق
أوصاف الله تعالى لا يجوز فيقال نعم ان ذلك المتوهم لم يميز بين المثل والمثال
فان المثال يحتاج اليه كما ذكرناه في ان يسترق للمعنى المعقول من الصور المحسوسة
صورة توضحه وتوصل ذلك المعنى المعقول الى فهم المستفيد وأما المحسوس فلا
يحتاج الى مثال لان المحسوس بعينه مندرج في الخيال الا ترى ان من رأى
المقدحة والزند والنار تحصل بينهما لا يحتاج الى مثال لهذه الاشياء ولكن
المعقول المحض الذي لا يندرج في الخيال ولا يضبطه الخيال فانه يحتاج الى
الاستعانة بالخيال حتى يصل الى فهم الضعفاء وليس لله تعالى مثل كما قال ليس
كمثله شيء ولكن له مثال وقول النبي عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم
على صورته اشارة الى هذا المثال فانه لما كان تعالى وتقدس موجودا قائما
بنفسه حيا سميعا بصيرا عالما قادرا متكلما فالانسان كذلك ولو لم يكن الانسان
بهذه الاوصاف موصوفا لم يعرف الله تعالى ولذلك قال النبي عليه الصلاة
والسلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فان كل ما لم يجد الانسان له من
نفسه مثالا لا يصير عليه التصديق به والاقرار وقد أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء

عليهم الصلاة والسلام أيها الانسان اعرف نفسك تعرف ربك ولذلك
لا يحيط علم الانسان بأخص وصف الله تعالى لانه ليس في المبدعات و
المخلوقات مثال وانموذج من ذلك الوصف الخاص وكذلك الاسم للوصف
الخاص الذي له تعالى لان الانسان انما يسمي الشيء بعد معرفته اياه واذا لم
يكن للانسان اليه طريق وانموذج فلا علم له به ولا اسم له عنده ولا علامة
فكيف يعرفه فلذلك لا يعرف الله الا الله يعني أخص وصفه وكنه معرفته
فمن قال ان الانسان حي عالم قادر سميع بصير متكلم والله تعالى كذلك
لا يكون هذا القائل مشبها فان التشبيه اثبات المشاركة في الوصف الأخص
ومن قال ان السواد عرض موجود وهو لون والبياض عرض موجود وهو لون
لا يكون مشبها السواد بالبياض فان الاشتراك في اللونية والعرضية والوجود
لا يكون تشبيها بينهما فان هذه أوصاف تعمها والموجودات كلها مشتركة
في الوجود العام ولا تماثل بينهما وكذلك لا تماثل بين السواد والبياض
مع اشتراكهما في اللونية والعرضية والوجودية فالمثال في حق الله سائغ جائز
والمثل مستحيل فانا نقول الله تعالى مدبر متصرف في العالم وليس في العالم
مثال ذلك ان أصبع الانسان يتحرك بحركة علمه وارادته وليس فيها العلم
والارادة فيقع التفهيم بسبب ذلك وتصور الضعيف انه كيف يكون الملك
فاعل في شيء غير مجاور له ولا حال فيه **فصل** تكليف الله تعالى عباده
لا يضاهي تكليف الانسان عبده الاعمال التي يرتبط بها غرضه ومالا حظ
له فيه وما لا يحتاج اليه فلا يكلفه به وتكليف الله تعالى عباده يجري مجرى
تكليف الطبيب المريض فاذا غلبت عليه الحرارة أمره بشرب المبردات
والطبيب غني عن شربه لا يضره مخالفته ولا ينفعه موافقته ولكن
الضرر والنفع يرجعان الى المريض وانما الطبيب هاد ومرشد فقط فان

دفع المرض حتى وافق الطبيب شفي وتخلص وان لم يوفق لمخالفة تمادى به
المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب سيان فانه مستغن عن بقائه و
فنائه فكما ان الله تعالى خلق للشفاء سببا مفضيا اليه كذلك خلق للسعادة
سببا وهو الطاعات ونهي النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن
رذائل الاخلاق منجيات ورذائل الاخلاق في الآخرة مهلكات كان رذائل
الاخلاق مرضات في الدنيا ومهلكات والمعاصي بالاضافة الى حياة الآخرة
كالسموم بالاضافة الى حياة الدنيا وللنفوس طب كما ان للاجساد طبا و
الانبياء عليهم الصلاة والسلام اطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق
الفلاح بتمهيد الطريق المزكية للقلوب كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها
وقد خاب من دساها ثم يقال ان الطبيب أمره بكذا او نهاه عن كذا وانه
زاد مرضه لانه خالف الطبيب وانه صح لانه راعى قانون الطبيب ولم يقصر
في الاحتماء وبالحقيقة لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطبيب لعين المخالفة
بل لانه سلك غير طريق الصحة التي أمره الطبيب بها فكذلك التقوى هي
الاحتماء الذي ينفي عن القلوب امراضها وامراض القلوب تفوت
حياة الآخرة كما تفوت امراض الاجساد حياة الدنيا والمثال الآخر ان ملكا من
ملوك الناس بعث بعض عبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه
تلقاءه لينال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة
به وتصميم العزم على ان لا يستخدمه اصلا ثم ان العبد ان ضيع المركوب
واهلكه واتفق المال لا في زاد الطريق كان كافر النعمة وان ركب المركوب
وانفق المال في الطريق متزودا به كان شاكر النعمة لا بمعنى انه انال الملك
حظا فانه لم يرد في الانعام عليه وفي تكليفه الحضور حظا لنفسه ولكن أراد
سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكرا وان خالف علت

لخالقته كفر انا وانه تعالى يستوي عنده كفر الكافرين وايمانهم بالاضافة الى جلاله
واستغنائه ولكنه لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصلح لعباده فانه يشقيهم كما
لا يرضى الطبيب هلاك المريض بعالجهم ولا يرضى الملك المستغني عن
عبده لعبده الشقاوة بالبعد عنه ويريد له السعادة بالقرب منه وهو غني
عنه قرب أو بعد فهكذا ينبغي أن يفهم امر التكليف فان الطاعات أدوية
المعاصي سموم وتأثيرها في القلوب ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم كما لا
تسعد الصحة الا من أتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطبيب للمريض قد
عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان واتقيتني فلنفسك وان خالفت فعليها
كذلك قال الله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها واما العقاب على ترك
الاوامر وارتكاب النهي فليس العقاب من الله تعالى غضبا وانتقاما ومثال ذلك
أن من غادر الوقاع عاقبه الله تعالى بعدم الولد ومن ترك ارضاع الطفل
عاقبه بهلاك الولد ومن ترك الاكل والشرب عاقبه بالجوع والعطش ومن
ترك تناول الادوية عاقبه بألم المرض وغضب الله تعالى على عباده غير ارادته
الايلام كما أن الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب
مسبب الاسباب فبعضها يفضي الى الآلام وبعضها الى اللذات ولا يعرف
عواقبها الا الانبياء فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى آلام الآخرة
ولذاتها من غير فرق فالسؤال عن أنه لم تفضي المعصية الى العقاب كالسؤال
في أنه لم يهلك الحيوان عن السم ولم يؤدي السم الى الهلاك ولم خلق جسد الانسان
على وجه يفعل فيه السم أثرا وينفعل البدن عنه وهو لا ينفعل عن البدن
فكذلك الكلام في أنه لم خلق الله تعالى نفس الانسان على وجه تكملها و
تنجيها الفضائل وتهلكها الرذائل فعل اراد الله تعالى غير عاجز عن الاشباح

من غير أكل والارواء من غير شرب والانشاء من غير مصاحبة ووقاع والانماء من غير رضاع ولكنه قد رتب الأسباب والمسببات ولذلك سر وحكمة لايعلمها الا الله تعالى والراسخون في العلم وليس هذا ابعجب وانما العجب من هذا التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري أن من لايهتدى الى سر الحكمة فيه يتعجب منه لقصور هدايته ولو كان كذلك لضاع حظ النبات والحيوانات التي هي ألطف الحيوانات وأقربها الى الاعتدال مثل الغنم والنعاج والقبج والدجاج وغيرها وكمال النبات أن يصير غذاء الما هو أعلى منه بالرتبة وهو الحيوان ولذلك يقوم بدل ما يتحلل منه فيصير جزء منه متشابه وهذا كمال وكذلك نسبة الحيوانات المذبوحة الى الانسان ونسبة الانسان الى الملائكة في جنات عدن كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وأما كون بعض الحيوانات الجم غذاء لبعض السباع الضارية ففي السباع الضواري فوائد ومنافع سياسية وطبية يعرفها ارباب السياسة والاطباء ومثال من يتعجب من وضع هذه الاشياء على ترتيب النظام الكلى على موجب نقد الحزين الحكيم كمثل الاعمى الذى دخل دارا فتعثر بالأوانى الموضوعة في صحن الدار فقال لأهل الدار ما الذى أزال عقولكم لماذا الاتردون هذه الاوانى الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق فقيل له انها موضوعة في مواضعها وانما الخلل من فقد البصر وكمثل الاخشم الذى لايدرك الروائح فيلوه واضع اللخالخ والمثلثات والفواكه العطرة الطيبة بين يديه فقال هذه اقد شغل المكان فقط فقيل له في العود فائدة سوى اتخاذه على جهة الحطب و انما المانع من ادراكه هو الخشم وههنا مباحثة اخرى منها ان الله تعالى كيف يأمر بالشئ ويمنع من البحث عنه والبصيرة لاتحصل الا بالبحث عنه وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعى اعتقادا جازما او معرفة تحقيقية والاعتقاد

الجازم يعرف بالتقليد المجرد على سبيل التصديق والايمان والمعرفة تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث الخلائق كلهم بل الضعفاء العاجزون عن الاطلاع على حقائق البرهان ومعضلات البحث في مثال ذلك الطبيب الذي يأمر العليل بشرب الدواء ويمنعه عن البحث عن سبب كون هذا الدواء شافيا فانه يقصر عنه فهمه ويشق عليه ويعجز عنه ويزداد المرض يستضر به فان وجد على سبيل التدور مريضا ذكيا سالكا منهاج الطب علل الامراض لم يمنعه من البحث ولم يمنعه عن ذكر المناسبة بين دوائه وبين مرضه بل اذا علم انه ليس يؤمن بمجرد قوله وليس يقلد محض التقليد لما خص به من الذكاء وما يفهم من اسباب العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة اشتغل بالعلاج وان لم يكن يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ولم يمنع من البحث اذا علم استقلاله به الا ان ذلك نادر في المرضى جدا والاكثرون يضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العلل والاسرار والبحث عنها في الشرعيات من هذا القبيل واما تسخير البهائم للانسان مثل من يمشي خطوات مثلا ينظر الى متنزهات ووجوه حسان فيقال لم كيف اتعب رجله وسخرها لاجل عينيه والعين التي كان الرجل التي رضا باله جعل احداهما خادمة واتعبها وجعل الاخرى مخدومة وطلب راحتها وهذا جهل بالاقدار والمراتب بل العاقل يعلم ان الكامل ابدا يفدى بالناقص وان الناقص ليستسخر لاجل الكامل وهو عين الحكمة وليس ذلك بظلم فان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله تعالى لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم بل له ان يفعل ما يشاء في ملكه ويكون عادلا والوحي الالهي والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل فمن اراد بنبو العقل ان برهان العقل يدل على استحالته كخلق الله

تعالى

تعالى مثل نفسه أو الجمع بين المتضادين فهذا اما لا يرد الشرع به وان أراد به
ما يقصر العقل عن ادراكه ولا يستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال ان
يكون في علم الاطباء مثلا جلب المغناطيس للحديد وان المرأة لو مشت فوق
حية مخصوصة القت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل
بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه فلا ينبو عنه الحكم
باستحالته وليس يحيل ما لا يراه ركم العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد قط
النار واخراجها فانبه يا مخبر وقال اني اعلم خشبة بخشبته واستخرج
من بينهما شيئا أحمر بقدر عدسة فتاكل هذه البلدة وأهلها حتى لا يبقى
منهم شيء من غير ان ينتقل ذلك الجوهر وما ومن غير ان يزيد في حجمها بل
تأكل نفسها فلا تبقى هي ولا البلد لكنا نقول هذا الشيء ينبو عنه العقل ولا
يقبله وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك وكذلك قد يشتمل الشرع
على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين
البعيد والمحال فان البعيد هو ما ليس بمألوف والمحال ما لا يتصور كونه
أما معنى قول الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقوله تعالى لم حشرتني
أعمى وقد كنت بصيرا فالسؤال قد يطلق ويراد به الالزام يقال ناظر فلان
فلانا وتوجه عليه سؤاله وقد يطلق ويراد به الاستخبار كما يسأل التلميذ
استاذه والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الالزام وهو المعنى بقوله لا
يسئل عما يفعل اذ لا يقال له لم قول الزام فاما ان لا يستخبر ولا يستفهم
فليس كذلك وهو المراد بقوله لم حشرتني أعمى وهذا القدر كاف في
جواب هذه الاسئلة ومن ترقى عن محل التقليد باد في كياسته ولم يتم
الى رتبة الاستقلال كان من الهالكين نعوذ بالله من كياسة لا تنفع فان
البلاهة أدنى الى الخلاص والنجاة منها شعر ولم أر في عيوب الناس شيئا

كنقص القادرين على التمام * فصل اذا عرفت انك حادث وان الحادث
لا يستغني عن محدث فقد حصل لك البرهان على الايمان بالله وما
أقرب الى العقل هاتين المعرفتين أعني انك حادث وان الحادث لا يحدث
بنفسه واذا عرفت نفسك وانك جوهر خاصيتك معرفة الله ومعرفة ما
ليس بمحسوس وليس البدن من قوام ذاتك فانهدام البدن لا يعدمك
فقد عرفت اليوم الآخر بالبرهان فانه لا معنى له الا ان لك يومين يوم حاضر أنت
فيه مشغول بهذا البدن ويوم آخر أنت فيه مفارق لهذا الجسد واذا لم يكن
قوامك بالجسد وقد فارقته بالموت فقد حصل اليوم الآخر واذا عرفت انك
اذا فارقت المحسوسات بمفارقة الجسد تلقيت اما نعمة هي معرفة الله تعالى
التي هي خاصية ذاتك ومنتهى لذاتك بمقتضى طبعك الأصلي لو لم تمرض بالميل
الى الشهوات واما عذابا بالحجاب عن الله تعالى الذي هو منتهى شهوتك من
حيث الطبع الاصلي كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعرفت ان
سبب المعرفة الذكر والفكر والاعراض عن غير الله تعالى وسبب المرض المانع
عن ذكر الله ومعرفته الاقبال على الشهوات والحرص على الدنيا وعرفت ان الله
تعالى قادر على ان يعرف عموم عباده ذلك بواسطة الكشف لبعض خواص عباده
وعرفت انه قد فعل ذلك فقد عرفت رسله بالبرهان وآمنت واذا عرفت
ان هذه التعريفات للانبياء انما تكون في كسوة الفاظ وعبارات توحى اليهم
وتلقى في سمعهم اما في يقظة او في منام فقد آمنت بالكتب واذا عرفت أن
أفعال الله تعالى منقسمة الى ما فعله بواسطة والى ما فعله بغير واسطة وان
وسائطه مختلفة المراتب فالوسائط القريبة هم المقربون وعنهم يعبر بالملائكة
لكن معرفة هذا بطريق البرهان عسير والقول فيه طويل فصدق الرسل
في اخبارهم عنهم بعد ان عرفت صدق الرسل بالبرهان واكتف بذلك فانه

درجة من درجات الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات.

فصل كل ما يتوالد فلا يستحيل أن يتولد أصلاً وما يتولد لا يستحيل أن يتوالد فقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة انما عنى به الانسان التوالدي وقوله خلقناكم من تراب عنى به الانسان التولدي وقد تتولد العقارب من الباذروج ولباب الخبز والحيات من العسل والنحل من العجل المختنق المنكسرة عظامه والبق من الخل وسام أبرص من القرنبيط والخنافس من البعرة ومن نوع المنبوق العقرب الجرارة ومن الشعر الحيات ومن الطين والمدر الفأر ومن ما بين أصول القصب الدائم الرطوبة الطير ولا سيما طير الماء وامثال ذلك كما ذكر في كتب الطلسمات وغيرها ثم يتوالد بعد التولد ويبقى نوعه بالتوالد وانطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج مما يدل على خراب العالم السفلي وتغييره للفصول أعني الربيع والصيف والخريف والشتاء فلا يبقى الحرث والنسل كما قال تعالى كل من عليها فان يعني على الارض فخلق الله تعالى آدم من تراب ثم حصل منه التوالد ونظير ذلك مشاهد وكذا الصنائع والحرف تحصل من طريق الالهام ثم تستفاد وتتعلم وتحصل النار من القدحة والزند ثم تقتبس بعد حصولها ذلك تقدير العزيز العليم الذي خلق عند انفراج الدائرتين معدل النهار وفلك البروج الذي يتزايد الميل الذي خلق بينهما آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء معين ثم سواه ونفخ فيه من روحه فمن شك في كيفية بدء الخلق ووضع الصانع الحكيم في التوالد والتولد فلينظر الى المحسوسات التي ذكرناها ولما النشأة الاخرى وكيفية عود النفوس والارواح الى اشباحها فمذكورة في بابها

فصل المبدعات والمخلوقات احدثها الله تعالى نازلة بالترتيب فهو الاول الذي لا أول قبله ومنه حصل المبدعات بل الممكنات بأسرها ثم ينزل الترتيب من الاشرف فالاشرف حتى ينتهي الى المادة التي هي أخس

الاشياء ثم ابتدأ تعالى من الاخس عائدا الى الاشرف حتى انتهى الى الانسان
وصعود الانسان عند كمال نفسه اليه حيث قال ارجعي الى ربك راضية مرضية
ولذلك قال هو الاول والآخر والظاهر والباطن أما الظاهر فمركوز في غرائز
العقول ان للكل مبدأ وان للحادث محدثا وللممكن موجدا واجبا و
أما الباطن فلان وصفه الخاص لا يعرفه الا هو وربما كان باطنا لغاية ظهوره
كما ان الشمس التي هي في غاية البعد عن هذا المثال ظاهر باهر وبسبب غاية
ظهورها لا تدركها الحاسة المبصرة محاذاة ومقابلة والميزان ما تعرف به
حقائق الاشياء ويميز به صحيح العقيدة من الفاسد وهو الواسطة بين السماء
والارض حيث قال والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان وأقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام وذلك الميزان
سر من اسرار الربوبية لا يعرفه الا الراسخون في العلم والله أعلم الركن الثالث

في معرفة الملائكة

الملائكة والجن والشياطين جواهر
قائمة بأنفسها مختلفة بالحقائق اختلافا كما يكون بين الانواع مثال ذلك
القدرة فانها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفان اللون و
اللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان
والجن اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف
بين الجن والملك فلا يدرى أهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف
بين الفرس والانسان أو الاختلاف في الاعراض كالاختلاف بين الانسان
الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان وهو ان يكون
النوع واحدا والاختلاف واقعا في العوارض كالاختلاف بين الخير والشرير
والاختلاف بين النبي والولي والظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم عند
الله تعالى وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم اعني انها محل العلم بالله تعالى

لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل الا في محل واحد وحقيقة الانسان
فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحلين غير
متضادين واما ان هذا الجوهر غير منقسم وهل هو متحيز ام لا فهذا الكلام
يستند الى معرفة الجزء الذي لا يتجزأ فان استحال الجزء الذي لا يتجزأ فهذا
الجوهر غير منقسم ولا متحيز وان لم يستحل الجزء الذي لا يتجزأ فيمكن ان
يكون هذا الجوهر متحيزا وقد قال قوم لا يجوز ان يكون غير منقسم ولا
متحيز فان الله تعالى غير منقسم ولا متحيز فما الذي يفصل هذا من ذلك
وهذا غير مبرهن عليه لانه ربما تباينا في حقيقة الذات وان سلب عنهما
الانقسام والتحيز والامور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لان
ما يسلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل
واحد فان ايجاب احتياجهما الى المحل وكونهما في المحل لا يفيد تماثلهما كذلك
سلب الاحتياج الى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين ويمكن ان تشاهد
هذه الجواهر اعني جواهر الملائكة وان كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة
على ضربين اما على سبيل التمثل كقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما كان النبي
عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي والقسم الثاني ان
يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما ان نفوسنا غير محسوسة ولها
بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها فكذلك بعض الملائكة
وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفا على اشراق نور النبوة كما ان محسوسات
عالمنا هذا موقوف عند الادراك على اشراق نور الشمس وكذا في الجن و
الشياطين **فصل** وقوع مزاج قريب من مزاج آخر غير مستحيل فنسبة
نفس مزاج واحد هو قريب الى مزاج آخر الى نفس ذلك المزاج نسبة مقاربة
فاذا كان للانسان مزاج خاص وله نفس خاصة ثم كان صاحب ذلك المزاج

وحدث بعده مزاج آخر قريب منه وذلك عند الادوار والتشكلات الفلكية
فاذا كان كذلك حدث مزاج وتشكل الفلك على هيأة مخصوصة ثم عادت تلك
التشكلات باسرها عودا يمكن لها وان لم يكن بالنسبة المخصوصة الى مبدا
واحد فحدث مزاج آخر استحق المزاج الحادث نفسا اخرى لتسلك النفس
مع النفس المفارقة التي كانت للمزاج المناسب له مناسبة ما فلا تتعلق النفس
المفارقة بهذا المزاج تعلقا كليا لاستحالة تصرف النفسين في بدن واحد
فتتعلق بذلك المزاج تعلقا دون تعلق تلك النفس الحادثة معدودة مأخوذة
ان كانت خيرة وشرا ان كانت شريرة ولذلك يقال لكل انسان حتى يشاكله
ويعاونه او شيطان يغويه ويضله وان حدث مزاجان في زمان واحد في
بلدتين او في مكانين وحدثت لهما نفسان كانتا ترين في الابدان تريان
وفي النفوس تربان وكل من تكون مناسبة الارواح المفارقة الى روحه اكثر
حدث به من تلك الاتصالات انواع من الاخلاق فيكون عرافا كاهنا او
صاحب تنجيم او غير ذلك وربما كانت القوة الوهمية بعد المفارقة بحيث
يصير لها العالم المحسوس بدنا ولا تتعداه الى العالم الاعلى فتطالع الاسباب
الجزئية في هذا العالم فتستفيد النفس البدنية المتصلة بها معرفة ما والشرير
منها في غاية الشر لانها خرجت عن المادة فالشرير شيطان والخير من الطبقة
الناقصة جن وللجن والشياطين علائق يتمسك بها البشر واخال ربونيه
هي مولدات لا نتعال الطبيعية والخلاص عن المادة دليل كمال القوة سواء
كانت تلك القوة قوة رياسة او قوة خير واما القاعد عن اليمين والشمال
فقالوا فيهما ما قالوا والحق ان هذا امر انما يعرفه الانبياء المرسلون عليهم
السلام وملائكة السموات المدبرون المتصرفون في اجرام السموات
لا يعلم اعداد تلك الاجرام الا الله تعالى كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك

الا هو وملك الموت هو الملك الذى يأمره الله تعالى بقبض الارواح متضمنا تفريق المزاج الذى استحق قبول تلك النفس مثاله مثال مطفئ السراج بالنفخ والنفخ نفختان نفخ يوقد كما قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا ونفخ يطفئ كما قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض وقال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون **الركن الثالث فى المعجزات واحوال الانبياء عليهم السلام** تسبيح الحصا وقلب العصا حية تسعى وكلام البهائم وكلام الشاة التى قالت للنبى عليه الصلاة والسلام حين سمتها اليهودية لا تأكل منى فانى مسمومة وأمثال ذلك على ثلاثة أقسام القسم الاول الحسى و الثانى الخيالى و الثالث العقلى القسم الاول الحسى وهو أن يخلق الله العلم والحياة والقدرة فى الحصا حتى يتكلم وفى البهيمة العقل والقدرة والنطق وذلك ليس بمحال فان الله تعالى قادر على أن يخلق فى الباذروج حياة وقدرة وسما ويخلق منه عقربا ويخلق من نوى النبق كذلك ويخلق من لحوم البقر النحل ومن النطفة الانسان وسائر الحيوانات من موادها فهو قادر على ان يخلق باعجاز نفس مقدسة نبوية فى الحصاة حياة وقدرة ومن شاهد خلق الحية النضناضة من شعر امرأة وحيض ذلك ولا يتعجب من قلب الشعر حية فكيف يتعجب من قلب العصا حية والخشب كان ذا نفس نامية نباتية والشعر لم يكن ذا نفس والاجسام متماثلة فكما جاز ذلك فى اجسام الناس جاز ذلك فى سائر الاجسام وان كان الجسم الانسانى بسبب اعتدال المزاج قابلا لهذه الاشياء فكل جسم مستعد لقبول المزاج المعتدل وان كان الاعتدال موقوفا على الحرارة والرطوبة فليس يمتنع ان يكون كل جسم قابلا للحرارة والرطوبة ويكون دعاء النبى وهمته يؤثران فى كينونة هذه الاشياء من غير مهلة ومدة وان جرت العادة ان يخلق الله تعالى مثل هذه الاشياء فى مدة وبذلك يظهر شرف

الانبياء وخرق العادة ليس بمحال مثال ذلك الشمس والنار فان ما يحصل من
تأثير الشمس في المائعات وغيرها انما يحصل بمدة على سبيل التدريج وما يحصل
من اسخان النار يكون دفعة فلم استحال ان يكون تأثير مراد الانبياء على وجه تكون
نسبته كنسبة اسخان النار الى اسخان الشمس القسم الثاني العقلي وهو قول الله تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده وهو شهادة كل مخلوق ومحدث على خالقه وموجده
كشهادة البناء على الباني والكتابة على الكاتب ويقال لذلك لسان الحال والمتكلمون
يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول والحمقى من الناس لا يعرفون هذه
الرتبة ولا يقرون بها القسم الثالث الخيالي ان لسان الحال يصير مشاهدا محسوسا
على سبيل التمثل وهذه خاصية الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما ان
لسان الحال يتمثل في المنام لغير الانبياء ويسمعون صوتا وكلاما كمن يرى في
منامه رجلا يكلمه او فرسا يخاطبه او ميتا يعطيه شيئا او يأخذ بيده او يطلب
منه شيئا او تصير اصبعه شمسا او قمرا او يصير ظفره اسدا او غير ذلك مما يراه
النائم في منامه فالانبياء عليهم الصلاة والسلام يرون ذلك في اليقظة وتخاطبهم
هذه الاشياء في اليقظة فان المتيقظ لا يميز بين ان يكون ذلك نطقا خياليا
او نطقا حسيا من خارج والنائم انما يعرف ذلك بسبب انتباهه والتفرقة
بين النوم واليقظة ومن كانت له ولاية تامة تفيض تلك الولاية اشعتها
على خيالات الحاضرين حتى انهم يرون ما يراه ويسمعون ما يسمعه والتمثل الخيالي
اشهر هذه الاقسام كلها واجمعها واجب **فصل** واما شفاعة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام والاولياء فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الالهية
على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة
لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر بالصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم ومثاله نور الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع

مخصوص من الحائط لا الى جميع المواضع وانما اختص ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين
الماء فى الموضع وتلك المناسبة مسلوبة عن سائر اجزاء الحائط وذلك الموضع
هو الذى اذا اخرج منه خط الى موضع النور من الماء حصلت منه زاوية الى
الارض مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس
بحيث لا يكون اوسع منه ولا اضيق مثال ذلك لا يح وهذا لا يمكن الا فى
موضع مخصوص من الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضى الاختصاص
باقتباس النور فالمناسبات المعنوية العقلية ايضا تقتضى ذلك فى الجواهر
المعنوية ومن استولى عليه بالتوحيد فقد تاكدت مناسبته مع الحضرة الالهية
فاشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولت عليه السنن والاقتداء
بالرسول ومحبة اتباعه ولم ترسخ قدمه فى ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته الا مع الواسطة فافتقر الى واسطة فى اقتباس النور كما يفتقر الحائط الذى ليس
مكشوفا للشمس الى واسطة الماء المكشوف للشمس والى مثل هذا ترجع
حقيقة الشفاعة فى الدنيا فالوزير المتمكن فى قلب الملك المخصوص بالعناية
قد يغضى الملك عن هفوات اصحاب الوزير ويعفو عنهم لا لمناسبة بين
الملك واصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير المناسب للملك ففاضت
العناية عليهم بواسطة الوزير لا بانفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم تشملهم
العناية اصلا لان الملك لا يعرف اصحاب الوزير واختصاصهم به الا بتعريف
الوزير واظهاره الرغبة فى العفو عنهم فيسمى لفظه فى التعريف واظهار
الرغبة شفاعة على سبيل المجاز وانما الشفيع مكانته عند الملك وانما اللفظ
لاظهار الغرض والله مستغن عن التعريف ولو عرف الملك حقيقة
اختصاصه بالوزير لاستغنى عن اللفظ وحصل العفو بشفاعة لا نطق
فيها ولا كلام والله تعالى عالم به فلو اذن للانبيا عليهم الصلاة والسلام

ذا التلفظ بما هو معلوم عند الله تعالى لكانت الفاظهم الفاظ الشفعاء واذا
اراد الله تعالى ان يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل في الحس والخيال
لم يكن ذلك التمثيل الا بالفاظ مألوفة بالشفاعة ويدل على ذلك انعكاس
النور بطريق المناسبة وان جميع ما ورد في الاخبار عن استحقاق الشفاعة
متعلق بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام من صلاة عليه او زيارة لقبره
أو جواب المؤذن والدعاء لعقيبه وغير ذلك مما يحكم علاقة المودة والمحبة
والمناسبة معه

الركن الرابع في أحوال ما بعد الموت

فصل

في عذاب القبر النفس اذا فارقت البدن حملت القوة الوهمية معها كما
ذكرناها وتجرد عن البدن منزهة ليس يصحبها شئ من الهيئات البدنية
وهي عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا متوهمة
نفسها الانسان المقبور الذي مات وعلى صورته كما كان في الدنيا تتخيل
وتتوهم وتتخيل بدنها مقبورا وتتخيل الآلام الواصلة اليها على سبيل
العقوبات الحسية على ما وردت به الشرائع الصادقة فهذا عذاب القبر
وان كانت سعيدة تتخيل على صورة ملائمة على وفق كانت تعتقد من
الجنات والانهار والحدائق والغلمان والولدان والحور العين والكاس
من المعين فهذا ثواب القبر فلذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام
القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فالقبر
الحقيقي هذه الهيئات وعذاب القبر وثوابه ما ذكرناها والنشأة
الاخرى خروج النفس عن غبار هذه الهيئات كما يخرج الجنين من
القرار المكين كما قال تعالى قل يحييها الذي أنشأها اول مرة وهو
بكل خلق عليم وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
فاذا أنتم منه توقدون دليل ظاهر ومثال بين لهذه النشأة

فصل قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته الفاء ههنا
للتعقيب يعني قامت قيامة الميت عند موته مثال ذلك من سرق نصابا كاملا
من حرز فقد استحق قطع يده وهذا عقاب لايتاخر عن هذا الفعل وقال
تعالى أيضا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد
باء بغضب من الله والقيامة الكبرى ميعاد عند الله تعالى لايجليها لوقتها
الا هو وعلمها عند الله والأوقات والأزمنة وان كان فيها اتشابه فلكل
واحد منها خواص ببعض أنواع الوجود يعتبر ذلك في أوقات الحرث و
النسل وغيرهما وعند المتكلمين يرجع ذلك الى مشيئة الله تعالى فانه تعالى
يخصص وقتا يوجد فيه موجودا بارادته ومشيئته مع ان الاوقات متشابهة
بالاضافة الى القدرة والى ذات القديم سبحانه وتعالى والفلاسفة يقولون
ان مبادي الحوادث حركات الافلاك وان ادوارها مختلفة وكل شكل من
التشكلات مباين غيره من التشكلات مقرر ذلك في براهين اقليدس
اذ كل تشكل وكل عود من تلك التشكلات لاتعود بعينها وبذلك يبطلون دعوى
المنجمين في التجربة لكل عود وتشكل من تشكلات الفلك فيجوز ان يتجدد
دور مباين لسائر الادوار تحدث فيه حيوانات غريبة الشكل لم ير مثلها
قبلها قط واذا القينا حجرا في الماء يحدث فيه شكل مستدير تكون استدارة
هذا الشكل مناسبة لعمقه وكلما ازداد عمقه ازدادت تلك الدائرة فاذا
القينا حجرا آخر قبل تمام هذه الدائرة لم يلزم ان تكون حركة الماء في النوبة
الثانية كحركته في النوبة الاولى لان الماء في الاولى ساكن وفي الاخرى متحرك
فان تشكيل الحجر للمتحرك خلاف تشكيله للساكن فتختلف الاشكال مع
تساوي الاسباب لامتزاج أثر السابق باللاحق وهب ان تشكلا للمتحرك
وافق شكلا آخر فكيف يكون مقومات الثوابت والاوجات وسائر

الجوزهرات على مثل ما كان عليه في التشكل الاول فلا يستحيل ان يكون في
التقدير الازلي للادوار دور يخالف هذه الادوار يقتضي نمطا من نظام
الوجود والابداع على خلاف النمط المعهود ولا يستحيل ان يكون ذلك النمط
بديعا لم يسبق له نظير ولا ان يكون حكمه باقيا لا يلحقه مثل الدور السابق
المنسوخ فيبقى النمط الحاصل من الابداع مستمرا في جنسه وان كانت
تتبدل احواله فيكون ميعاد القيامة الكبرى حصول ذلك التشكل الغريب
من الاسباب العالية فيكون ذلك سببا كليا جامعا لجميع الارواح فيعم
حكمها كافة الارواح فتكون قيامة عامة مخصوصة بوقت لا تتسع القوة
البشرية لمعرفتها أعني لمعرفة وقتها ولا الانبياء المرسلون عليهم الصلاة
والسلام فان الانبياء أيضا يكشف لهم ما يكشف بقدر احتمالهم قبولهم
فاذا لم يقم برهان كلامي ولا فلسفي على استحالته وجب التصديق به
اذ ورد الشرع به تصريحا لا يتطرق اليه الاحتمال والتأويل وقد صرح
الشرع به تصريحا ضروريا يجب الايمان به ولا يمكن تأويله وكما جازان
يحدث دور يشتمل يحدث بسببه أنواع من الحيوانات لم يعهد مثلها
فكذلك يجب ان يحدث زمان يحشر فيه الموتى وتجمع اجزاؤهم وتعود
الى اشباحهم أرواحهم فكما ان الجاهل يتأمل فصل الشتاء ويتعجب ان
يحصل فيه نبات وثمار اذا ورد فصل الربيع فاين ذلك وبين زمان في
الفصلين بعد في هذه الدار فكذلك بين زمان النشأة الاولى التي تحصل
للانسان بالتناسل وزمان النشأة الاخرى التي تحصل للانسان بالاحياء
الاعادة كون بعيد لا يقاس احدهما على الثاني **فصل** عود النفس
الى البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة أمر ممكن غير مستحيل ولا
ينبغي ان يتعجب منه بل التعجب من تعلق النفس بالبدن في أول الامر

أظهر من تعجب عودها اليه بعد المفارقة وتأثير النفس في البدن تأثير
فعل وتسخير ولا برهان على استحالة عود هذا او صيرورة هذا البدن
مستعدا مرة أخرى لقبول تأثيره وتسخيره بقي ههنا تعجب من ضعفاء
العقول وهو ان ذلك الاستعداد الانساني يحصل قليلا قليلا بالتدريج
من نطفة في قرار مكين ثم من علقة الى تمام الخلقة واذا لم يكن كذلك لا
يقبل استعدادا وقبولا للتسخير ودفع هذا التعجب انا قد بينا ان ما هو ممكن
بالتدريج انما هو التوالد واما التولد فلا يكون بالتدريج بل يحدث ثم يمكن
دفعة واحدة الا ترى ان الفأر الذي يتوالد يكون بالتدريج وباجتماع
الذكر والانثى وبعد حمل وسفاد وأن التولدي منه يكون دفعة فانه لم
يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فأر وبعضه بالقوة قريب الحجم الفأر وكذا
الذباب الذي يتولد في الصيف من العفونات يكون دفعة ولم توجد
عفونة تغيرت عن حالها وصارت بالقوة قريبة الى ان تستحيل ذبابا من
غير مهلة وتدريج والنشأة الثانية تولدية من تلك الاجزاء التي كانت في
الاصل وان تفرقت وانخلعت صورها فيرد الله تعالى واهب الصور تلك
الصور الى موادها ويحصل المزاج الخاص مرة أخرى ولها نفس حدثت
عند حدوث ذلك المزاج ابتداء فتعود بالتسخير والتصرف اليها مع
العلاقة التي بينهما مثال ذلك راكب سفينة غرقت السفينة وتفرقت
اجزاؤها وانتقل الراكب بالسباحة الى جزيرة ثم ترد تلك الاجزاء بعينها الى
الهيئة الاولى وتوطد وتؤكد عاد اليها راكب السفينة واجراها وتصرف
فيها كما شاء فلا يجب ان يستحق هذا الحشر وجمع الاجزاء والمزاج الجديد
نفسا أخرى فان حدوث المزاج يستحق حدوث نفس له اما عود المزاج
الى الحالة الاولى فلا يستحق الا عود النفس الى الحالة الاولى واما ظن من

ظن ان الاجزاء الارضية لا تفى بذلك فظن وهم لا اعتبار بهما فمن تماس
الانسان والاجزاء الارضية التى فيه باجزاء الارض وأى معتبر استخرج
بالمساحة ذلك الحد وأما الاختلاف الراجع الى ذلك فى الكتب الالهية
ففى التوراة ان أهل الجنة يمكثون فى النعيم خمسة عشر الف سنة ثم يصيرون
ملائكة وان أهل النار كذا أو ازيد ثم يصيرون شياطين وفى الانجيل
ان الناس يحشرون ملائكة لا يطعمون ولا ينامون ولا يشربون ولا
يتوالدون وفى القرآن ان الناس يحشرون كما خلقهم الله تعالى أول مرة
كما قال تعالى فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة وسؤال
ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى رب ارنى كيف تحيى الموتى
وقول عزير عليه السلام حكاية منه أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته
الله مائة عام ثم بعثه ومكث أصحاب الكهف وهو قوله تعالى وكذلك
بعثناهم ليتساءلوا بينهم الى قوله ليعلموا ان وعد الله حق دلائل على ان
هذه النشأة كائنة ممكنة يجب الايمان بها وكان فى قديم الدهر فيها
اختلاف الناس والانبياء عليهم السلام يثبتون تلك بالبراهين والامثلة
المحسوسة والتعجب من النشأة الاولى اكثر من الاخرى الا ان النشأة
الاولى محسوسة مشاهدة معتادة فسقط التعجب فانا لو سمعنا ان
انسانا حرك نفسه فوق امرأة مرارا كما يحرك الممخض وخرج من اجزائه
شئ مثل زبد سيال فيختفى ذلك الشئ فى بعض أعضاء المرأة ويبقى مدة
على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة تصير مضغة ثم المضغة تصير عظاما
ثم تكسى العظام لحما ثم تحصل فيه الحركة ثم يخرج من موضع لم يعهد خروج
شئ منه على حالة لا يملك امه ولا يشق عليها فى ولادته ثم يفتح عينيه ويحصل
فى ثدى الام شئ مثل شراب مائع لم يكن قبل ذلك فيها ويتغذى به الطفل

الآن

الى ان يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات بل ربما
هذا الشيء الذي أصله نطفة وهو عند الولادة اضعف خلق الله يصير عن
قريب ملكا جبارا قهارا يملك أكثر العالم ويتصرف فيه فان التعجب من ذلك
أكثر واوفر من التعجب من النشأة الاخرى والاصل ان كل شيء لم يشاهده
الانسان ولم يعرف سببه يحصل له منه التعجب والتعجب هيئة تحصل
للانسان عند مشاهدة شيء لم يشاهده قبل ذلك أو سماع شيء لم يعرف
سببه ولم يسمعه قبل ذلك **فصل** تعلق النفس بالبدن كالحجاب لها
عن حقائق الأمور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا
عنك غطاءك ومما يكشف له تأثير أعماله مما يقربه الى الله تعالى ويبعده وفي
مقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تأثيرا من البعض ولا يمتنع في قدرة
الله تعالى ان يجري سببا يعرف الخلق في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة
الى تأثيراتها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة من النقصان
ومثاله في العالم المحسوس مختلف فمنه الميزان المعروف ومنه القبان للاثقال
والاسطرلاب لحركات الفلك والأوقات والمسطرة للمقادير والخطوط و
العروض لمقادير حركات الاصوات فالميزان الحقيقي اذا امثله الله عز وجل
للحواس مثله بما شاء من هذه الامثلة أو غيرها فحقيقة الميزان وحده موجود
في جميع ذلك وهو ما يعرف به الزيادة من النقصان وصورته تكون مقدرة
للحس عند التشكيل وللخيال عند التمثيل والله تعالى أعلم بما يقدره من
صنوف التشكيلات والتصديق بجميع ذلك واجب **فصل** والحساب
جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما من انسان الا وله أعمال متفرقة
نافعة وضارة ومقربة ومبعدة لا تعرف مبلغها وقد لا يحصر آحاد
متفرقاتها فاذا احصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان حسابا فان كان في

قدرة الله تعالى ان يكشف في لحظة واحدة للعالمين متفرقات أعمالهم ومبلغ
آثارها فهو أسرع الحاسبين ومعلومات في قدر ذلك فانه هو أسرع
الحاسبين قطعا وسئل أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه
كيف يحاسب الله الخلق في لحظة من غير تشويش ولا غلط فقال رضي
الله عنه كما يرزقهم مع سائر الحيوانات بلا تشويش ولا غلط فصل
الصراط حق وما قيل فيه انه مثل الشعرة في الدقة فهو ظلم في وصفه بل ادق
من الشعر بل لا مناسبة بين دقته ودقة الشعر وحدته وحدة السيف كما لا
مناسبة في الدقة بين الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس الذي
ليس من الظل ولا من الشمس وبين دقة الشعر ودقة الصراط مثل
دقة الخط الهندسي الذي لا عرض له اصلا لانه على مثال الصراط المستقيم
والصراط المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة
لذلك قد بين الله بهذا الدعاء في سورة الفاتحة حيث قال اهدنا
الصراط المستقيم وقال في حق المصطفى صلوات الله عليه وانك لتهدي
الى صراط مستقيم وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق وقال تعالى شأنه وانك لعلى خلق عظيم مثال ذلك السخاوة بين
التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف
والاقتار والتواضع بين التكبر والدناءة والعفة بين الشهوة والخمود
فهذه الاخلاق لها طرف افراط وطرف تقصير وهما مذمومان و
الوسط ليس من الافراط ولا من التقصير فهو على غاية البعد من كل طرف
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها مثال ذلك
الوسط الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس لا من الظل ولا من
الشمس والتحقيق في ذلك ان كمال الآدمي في المشابهة بالملائكة وهم

منفكون

منفكون عن هذه الأوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك
عنها بالكلية فكلفه الله تعالى بما يشبه الانفكاك وان لم يكن حقيقة الانفكاك
وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد والعودي لا أبيض ولا أسود والبخل
والتبذير من صفات الانسان والمقتصد السخي كأنه لا بخيل ولا مبذر
فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين الذي لا ميل له الى أحد
الجانبين وهو أدق من الشعر فالذي يطلب غاية البعد من الطرفين يكون
على الوسط ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار وقعت نملة فيها وهي تهرب
بطبعها من الحرارة فلا تموت الا على المركز لانه الوسط الذي هو غاية البعد
من المحيط المحرق وتلك النقطة لا عرض لها فاذا الصراط المستقيم هو
الوسط بين الطرفين ولا عرض له فهو ادق من الشعر ولذلك خرج عن
القدرة البشرية الوقوف عليه فلا جرم يرد امثالنا النار بقدر ميله عنه كما
قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا وقال تعالى
لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فان
العدل بين المرأتين في المحبة والوقوف على درجة متوسطة لا ميل فيه الى
احداهما كيف يدخل تحت الامكان فمن استقام في هذا العالم على الصراط
المستقيم الذي يحكى الله تعالى حقيقته عن النبي صلى الله عليه وسلم وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه مر على صراط الاخرة مستويا من غير ميل لانه في هذا
العالم عوّد نفسه التحفظ عن الميل فصار ذلك وصفا طبيعيا له فان العادة
طبيعة خامسة هذا حق قطعا كما ورد به الشرع وجاء في الحديث يمر المؤمن
على الصراط كالبرق الخاطف **فصل** اللذات المحسوسة الموجودة في
الجنان من اكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها وهي كما تقدم
حسي وخيالي وعقلي أما الحسي فبعد رد الروح الى البدن كما ذكرناه و

أما الكلام فى أن بعض هذه اللذات مما لا يرغب فيها مثل اللبن والاستبرق
والطلح المنضود والسدر المخضود فهذا انما خوطب به جماعة يعظم ذلك فى
أعينهم ويشتهونه غاية الشهوة وفى كل صنف وكل أقليم مطاعم ومشارب
وملابس تختص بقوم دون قوم ولكل واحد فى الجنة ما يشتهيه كما قال تعالى
ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون وربما يعظم الله تعالى فى
الآخرة شهوة لا تكون تلك الشهوة معظمة فى دار الدنيا كالنظر الى ذات الله
تعالى فان الشهوة والرغبة الصادقة فيها فى الآخرة دون الدنيا وأما الخيالى
فلا يخفى امكانه ولذته كما فى النوم الا انه مستحقر لانقطاعه عن قريب فلو
كانت دائمة لم يدرك فرق بين الخيالى والحسى لان التذاذ الانسان بالصور
من حيث انطباعها فى الخيال والحس لا من حيث وجودها من خارج فلو
وجد من خارج ولم يوجد فى حسه بالانطباع فلا لذة ولو بقى المنطبع فى
الحس وعدم الخارج لدامت اللذة وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور
فى هذا العالم الا أن صورها المخترعة متخيلة وليست محسوسة ولا منطبعة
فى القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة فى غاية الجمال وتوهم حضورها
ومشاهدتها لم تعظم لذته لانه ليس يصير مبصرا كما فى النوم فلو كانت له
قوة على تصويرها فى القوة الباصرة كما له القوة على تصويرها فى القوة المتخيلة
لعظمت لذته ونزلت منزلة الصورة الموجودة من خارج ولا تفارق الآخرة
الدنيا فى هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصوير الصورة فى القوة
الباصرة وكل ما يشتهيه يحضر عنده فى الحال فتكون شهوته بسبب تخيله
وتخيله بسبب أبصاره أى بسبب انطباعه فى القوة الباصرة فلا يخطر
بالبال شئ يميل اليه الا ويوجد فى الحال اى يوجد بحيث يراه واليه الاشارة
بقوله عليه الصلاة والسلام ان فى الجنة سوقا تباع فيه الصور والسوق عبارة

عن اللطف
١٦

عن اللطف الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشيئة
وانطباع القوة الباصرة فيها انطباعا ثابتا الى دوام المشيئة لا انطباعا هو معرض
للزوال من غير اختيار كما في النوم في هذا العالم وهذه القدرة أوسع و
أكمل من القدرة على الايجاد خارج الحس لان الموجود من خارج الحس لا يوجد
في مكانين واذا صار مشغولا باجتماع واحد ومشاهدته وبما رؤيته صار
مشغولا به مجموعا عن غيره وأما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى
اذا اشتهى مشاهدة الشيء مثلا ألف شخص في ألف مكان في حالة واحدة
تشاهدوه كما خطر بالهم في أماكنهم المختلفة وأما الابصار الحاصل عن شخص
الشيء الموجود من خارج الحس لا يكون الا في مكان واحد وحمل أمر الآخرة
على ما هو أوسع وأتم للشهوات واوفق بها أولى ولا نقص في قدرة الايجاد
أما الوجه الثالث وهو الوجود العقلي فأن تكون هذه المحسوسات امثلة
للذات العقلية التي ليست بمحسوسة لكن العقليات تنقسم الى انواع كثيرة
مختلفة اللذات كالحسيات فتكون الحسيات امثلة لها وكل واحد يكون
مثالا للذة اخرى مما رتبته في العقليات توازي رتبة المثال في الحسيات فانه لو
رأى في المنام الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن والانهار المطردة باللبن
والعسل والخمر والاشجار المزينة بالجواهر واليواقيت واللآلي والقصور
المبنية من الذهب والفضة والسرر المرصعة بالجواهر والغلمان الماثلين
بين يديه للخدمة لكان المعبر يفسر ذلك بالسرور ولا يحمله على نوع واحد
بل يحمل كل واحد على نوع آخر من أنواع السرور وقرة العين يرجع بعضه
الى سرور العلم وكشف المعلومات وبعضه الى سرور المملكة ونفاذ الامر
وبعضه الى قهر الاعداء وبعضه الى مشاهدة الاصدقاء وان شمل الجميع
اسم اللذة والسرور فهي مختلفة المراتب مختلفة الذوق لكل واحد مذاق

يفارق الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغي ان تفهم كذلك وان كان مما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه الاقسام
ممكنة فيجوز ان يجمع بين الكل لواحد ويجوز ان يكون نصيب كل واحد
بقدر استعداده فما لمشغوف بالتقليد والجمود على الصور الذي لم تنفتح
له طرق الحقائق تمثل له هذه الصور واللذات والعارفون المستصغرون
لعالم الصور واللذات المحسوسة يفتح لهم من لطائف السرور واللذات
العقلية ما يليق بهم وليشفي شرههم وشهوتهم اذ حد الجنتان فيهما لكل امرئ
ما يشتهيه واذا اختلفت الشهوات لم يبعد ان تختلف العقليات واللذات
والقدرة واسعة والقوة البشرية عن الاحاطة بعجائب القدرة قاصرة و
الرحمة الالهية اقتضت بواسطة النبوة الى كافة الخلق القدر الذي احتملته
افهامهم فيجب التصديق بما فهموه والاقرار بما وراء منتهى الفهم من امور
تليق بالكرم الالهي ولا تدرك بالفهم البشري وانما يدرك ذلك في مقعد
صدق عند مليك مقتدر **فصل** اما التقرب لمشاهد الانبياء و
الائمة عليهم السلام والعبارة عن هذا الامداد الشفاعة وهذا يحصل
من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والامداد من الجانب الآخر
ولزيارة المشاهد اثر عظيم في هذين الركنين اما الاستمداد فهو بانصراف
همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية
همته مستغرقة في ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة
سبب منه لروح ذلك الشفيع او المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة
بما يستمد منها ومن اقبل في الدنيا بهمته وكليته على انسان في دار الدنيا
فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك فمن لم
يكن في هذا العالم فهو اولى بالتنبيه وهو مهيأ لذلك التنبيه فان المطلع

المقررة في قضاء الحوائج من ارواح الانبياء والائمة عليهم السلام

من هو

من هو خارج عن أحوال العالم الى بعض أحوال العالم يمكن كما يطلع في المنام على
أحوال من هو في الآخرة أهو مثاب أو معاقب فان النوم صنو الموت و
أخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين في
حالة اليقظة لها فكذلك من وصل الى الدار الآخرة ومات موتا حقيقيا كان
بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى فاما كلية أحوال هذا العالم في جميع الأوقات
لم تكن مندرجة في سلك معرفتهم كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة في
معرفتنا في منامنا عند الرؤيا ولآحاد المعارف معينات ومخصصات
منها همة صاحب الحاجة وهي استيلاء صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب
الحاجة وكما تؤثر مشاهدة صورة الحي في حضوره ذكره وخطوره بالبال
فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه
فان أثر ذلك الميت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره في حال
حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظن انه قادر على ان يحضر في نفسه
ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن
خطأ فان للمشاهدة أثرا بينا ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك
الميت لم تكن هذه الاستعانة ايضا جزافا ولا تخلو من أثر ما كما قال النبي عليه
الصلاة والسلام من صلى على مرة صليت عليه عشرا ومن اجاب المؤذن
حلت له شفاعتي ومن زار قبري حلت له شفاعتي فالتقرب بقالبه الذي
هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي
هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل والتقرب بمشهده ومسجده وبلده
وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بكل
ماله منها مناسبة اليه تقرب موجب للقرب اليه مقتض لشفاعته فانه لا
فرق عند الانبياء في كونهم في دار الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة الا في طريق

المعرفة فان آلة المعرفة في الدنيا الحواس الظاهرة وفي العقبى آلة يعرف بها الغيب اما في كسوة مثال واما على سبيل التصريح وأما الاحوال الاخر في التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير والركن الأعظم في هذا الباب الامداد والاهتمام من جهة الملك وان لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد فانه لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عصاه أو سوطه على قبر عاص أو مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان في دار انسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركاتها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار وساكن البلدة فان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو في العقبى مصروف الى ما هو به منسوب ودفع المكاره والامراض والعقوبات مفوضة من جهة الله تعالى الى الملائكة وكل ملك حريص على اسعاف ما حرص النبي صلوات الله عليه بهمته اليه عن غيره كما كان في حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه المقدسة بعد موته أزيد من تقربهم به في حال الحياة وقد حكي ان ابا طاهر الهجري القرمطي ذبح انسانا على عنقه حتى يجر ميزاب الكعبة فمات الانسان على عاتقه وخر هو ميتا وان جماعة من المصريين نقبوا في جوار روضة النبي صلى الله عليه وسلم وقصدوا اخراجه ونقله الى مصر كان ذلك في نصف الليل فسمع أهل المدينة صوتا من الهواء احفظوا نبيكم معاشر المسلمين احفظوا نبيكم فأوقدوا السراج بل أوقدوا السرج والشموع والمشاعل ورأوا ذلك النقب في الجدار وحوله جماعة من المصريين موتى ونقل أنه صلى الله عليه وسلم غرس غصنا رطبا في قبر انسان وقال رفع الله تعالى عن صاحبه العذاب ما دام هذا الغصن رطبا وذلك من بركات يديه صلى الله عليه وسلم وكل من أطاع سلطانا وعظمه فاذا دخل بلده ورأى فيها سهما

من جهة ذلك السلطان أو سوطاله فانه يعظم تلك البلدة فالملائكة عليهم السلام يعظمون النبي فاذا رأوا أنه خائره في دار أو بلدة أو قبر عظموا صاحبه وخففوا عليه العذاب ولذلك السبب ينفع الموتى ان توضع على قبورهم المصاحف ويتلى القرآن على رؤس قبورهم ويكتب القرآن على قراطيس وتوضع القراطيس في أيدي الموتى فهذه انواع المناسبات على حسب حال من يريد أن يسوي كل مسموع ومشروع على قضية معقولة والامكان فى ذلك ان وراء ما يتصوره العقلاء امورا ورد الشرع بها ولا يعلم حقائقها الا الله تعالى والانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده وان اجتمع الحذاق وتفكروا فى الشكل الموضوع على مناسبة الاعداد لسهولة الولادة حالة الطلق ما عرفوا تلك الخاصية فكيف يطمع الانسان ان يعرف حقائق ما ورد به الشرع من الاوامر والنواهي والاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك والعقل ضعيف وتصرفه مختصر بالاضافة الى تلك العجائب والخواص قد قررت يا أخي طيب الله عيشك بعض ما يمكن التلويح اليه على وفق ما انتهت فطانتي اليه واوصيك ومن معك بالايمان بهذه الاشياء التي ورد الشرع بتصحيحها دون التوقف فيها ونعوذ بالله من التوقف وسأهدي اليك من بعد ان وفقني الله تعالى علقا مضنونا آخر اسمه المضنون به على غير أهله احق واولى من هذا المصنف فان فى هذا مسائل قررتها فى عدة مواضع ومسائل لم أقررها الا فى ذلك المصنف كما المضنون الموجود فقد كان عزيمتي على تقرير اشياء فيه لم اقررها فى شيء من كتبي الكلام الا فى احياء العلوم فان فيه تلويحات واشارات الى رموز لا يعرفها الا أهلها والله المعين الهادي وهو حسبنا واليه المرجع والمصير

تمت

كتاب الاوراد للامام الغزالي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا
ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا ونصلي على
نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الاكرمين الذين
اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم
نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا **اما بعد** فان الله تعالى جعل الارض
ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها
زادا يحملهم في سفرهم الى اوطانهم ويكتنزوا منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا
محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققوا ان العمر يسير بهم سيرا
كسفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها
اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره
فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤس أمواله
وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك
الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب
العذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حتى ينقضي في
غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها

منتهى

منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرير الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات

بيان اعداد الاوراد وترتيبها

اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى المغرب ورد والليل ينقسم الى اربعة اوراد ورد من المغرب الى وقت نوم الناس وورد من النصف الاخير من الليل الى طلوع الفجر فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به فالورد الاول ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقوله عز وجل ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا فاما ترتيبه فقد روى انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل

وركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان
من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت
المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت
من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا
وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى أو قال مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه
وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال ألا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله
انما أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم
فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الانسان أكثر شيء جدلا
ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ود مائة بالاستغفار والتسبيح الى أن تقام الصلاة
فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه سبعين مرة وسبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما
ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد في المسجد
الى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لأن أقعد
في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الي من أن
أعتق أربع رقاب وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه
حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل
ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما
يذكره من رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد
صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما واذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى
طلوع الشمس بل ينبغي ان تكون وظيفته الى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار
ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ

وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الورد الثاني مابين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف مابين طلوع الشمس الى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احدهما صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلوة وان الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي أربعا أوستا أوثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته ألا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وان كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو مابين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ماقبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى يطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع في مبتدا وقت الاذان في الصلاة وانقضاء

الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها فاقل ان ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن اراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر الورد الثالث من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والمغرب الا ان الضحى لم تفرض لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم الوظيفة الرابعة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد أمران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وأمانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لقوته فاذا حصل كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد



الآخرة أشد من التمتع بها و منها الاشتغال بكسب أهم من طلب الزيادة على حاجة
الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت
يستره أو حاجة لا بد له منها و قل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس
يقدرون فيما عنه بدا نه لا بد لهم منه و ذلك لان الشيطان يعدهم الفقر
و يأمرهم بالفحشاء فيصغون اليه و يجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر و الله
يعدهم مغفرة منه و فضلا فيعرضون عنه و لا يرغبون فيه الامر الثاني القيلولة
و هي سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار
فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير و ربما خالط اهل الغفلة و
تحدث معهم فالنوم أحب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار و
الوظائف المذكورة اذ في النوم الصمت و السلامة و قد قال بعضهم يأتي على
الناس زمان الصمت و النوم فيه أفضل أعمالهم و كم من عابد احسن احواله
النوم و ذلك اذا كان يرائي بعبادته و لا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق
قال سفيان الثوري رحمه الله كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة منه
فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة و نية قيام الليل كان نومه قربة و لكن
ينبغي ان يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء و حضور
المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال و ان لم
ينم و لم يشتغل بالكسب و اشتغل بالصلاة و الذكر فهو أفضل اعمال النهار لانه
وقت غفلة الناس عن الله عز و جل و اشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب
المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى و
يصطفيه لقربه و معرفته و فضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت
الغفلة بالنوم و هذا وقت الغفلة باتباع الهوى و الاشتغال بهموم الدنيا
و أحد معنيي قوله تعالى و هو الذي جعل الليل و النهار خلفة لمن اراد ان يذكر

أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما
الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر
أوراد النهار وأفضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما
زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر الى الفراغ من جواب أذانه
ثم ليقم الى احياء ما بين الأذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده
الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت أربع ركعات لا
يفصل بينهن بتسليمة واحدة وهذه الصلاة وحدها من بين سائر
صلوات النهار نقل بعض العلماء انه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن في
تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه انه يصلي مثنى مثنى كسائر
النوافل ويفصل بتسليمة وهو الذي صحت به الأخبار وليطول هذه الركعات
اذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها
سورة البقرة أو سورة من المئين أو أربعا من المثاني فهذه ساعات يستجاب
فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي
الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي ان يدعها
ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة
بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة
البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء
والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد
الخامس ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلا
بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفا فمن
فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف
كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا

كذوى النخل من التلاوة فان كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فحضه فاحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد فى النوم ان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نوم ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه فقدار استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الأبدان وكما ان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى الى اضطراب البدن الامن يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معنيى الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله وعشيا وفى قوله بالعشى والاشراق وليس فى هذا الورد صلاة الا أربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق فى الظهر ثم يصلى الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة فى الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس

الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القران بتدبر
وتفهم ان يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم
أكثر مقاصد الاقسام الثلاثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان
تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على
وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو
مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب
كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى فسبح واطراف
النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض
السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في
هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول
مثل ان يقول أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة و
سبحان الله العظيم وبحمده ماخوذ من قوله تعالى واستغفر لذنبك و
سبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن
أحب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب
اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرأ قبل غروب
الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب
الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال
ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك كما سبق ثم يجيب المؤذن و
يشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت اوراد النهار فينبغي
ان يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة

فان .

فان ساوى يومه امسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فقد
قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لى فى يوم لا ازداد فيه خيرا فان رأى
نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر
الله تعالى على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة
النهار فليعزم على تلافى ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن
السيئات ويشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول
ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له
آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع
وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار
فليس العمر الا اياما معدودة
تنقضى لا محالة جملتها
بانقضاء آحادها

بخرج مايش مالى
ملك الكتاب آقا ميرزا
محمد شيرازى طبع شد
بعون عنه

فهرست الجام العوام عن علم الكلام

فهرست المنقذ من الضلال

فهرست المضنون الكبير

تمت

CHEETRA PRABHA PRESS. BOMBAY.